نظرات
فى التاريخ الإسلامى

تأليف
الأستاذ الدكتور
طلعت محمد عفيفى سالم
عميد كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة

الناشر مكتبة الإيمان القاهرة
ت: ٣٤٥٢٣٠٢

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، دعانا إلى النظر فى أحوال من سبقنا، وأن تكون غايتنا من هذا النظر الاتعاظ والاعتبار، فقال تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٧].

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، وخيرته من خير خلقه وحبيبه، رباه الله على عينه، وأدبه فأحسن تأديبه، وجعل من بين الوسائل المؤدية إلى ذلك سوق القصص المتعلق بأنباء ما قد سبق مما يحمل العبرة والعظة، فقال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠].

اللهم صلِّ وسلم وبارك على هذا النبى الكريم، وارض اللهم عن آله وأصحابه وأزواجه وذريته وآل بيته، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فإن من المهم للعاملين فى مجال الدعوة أن يكونوا على معرفة بأحداث التاريخ، لا سيما تاريخ الإسلام الذى يؤمنون به، ويدعون الناس إليه.

وتبدو أهمية هذه المعرفة فيما يلى:

(١) أن أحوال الأمم تتشابه، وسنة الله فى إنجاء المؤمنين وإهلاك المكذبين لا تتغير، وفى إلمام الداعية بهذه الأحوال والسنن أكبر الأثر فى حمل النفوس على حسن الأسوة بمن مضى فى الأخذ بأسباب السعادة، واجتناب أسباب الهلاك.

وعلى هذه الوجه يُحْمَلُ ما ورد فى كتاب الله تعالى من قصص يمثل ثلاثة

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

أرباع القرآن، تحمل على الاعتبار بأحوال الأمم فى كفرهم وإيمانهم، وشقاوتهم وسعادتهم.

(٢) أن التاريخ الإسلامى سجل حافل بالأحداث التى مرت بها الأمة حال تقدمها وتخلفها، وهو الشاهد لصدق مبادئها وسلامة عقائدها، أو الشاهد عليها.

ولذا فإن فى معرفة الداعية لأحداث التاريخ الإسلامى، ما يمكنه من الإسهام فى بناء كيان الأمة الفكرى، وتكوينها العقدى والاجتماعى، حين يؤيد المبادئ النظرية بالوقائع التاريخية.

(٣) أن أعداء الإسلام عمدوا ـ فى حربهم ضد الإسلام ـ إلى تشويه التاريخ، والتعرض بالغمز واللمز لرموزه، أفرادًا ـ كانوا ـ أو جماعات.

وفى معرفة الداعية لأحداث التاريخ من مصادرها الصحيحة ما يفوت على هؤلاء المغرضين فرصتهم، ويحمى أفراد الأمة من كيدهم ومكرهم.

لأجل هذا ـ وغيره ـ كانت نصيحة أسلافنا الصالحين بأهمية المعرفة بأحداث ووقائع التاريخ.

يقول الشاعر:

اقرأ التاريخ إذ فيه العبر ضَاعَ قَوْمٌ لَيْسَ يَدْرُونَ الخبر

ويقول شاعر آخر:

من لم يعظه الدهر لم ينفعه ما راح به الواعظ يومًا أو غـــدا

من لم تفـــده عبرًا أيامـــه كان العمى أولى به من الهدى

ويقول أحد الحكماء: «من لم يعرف أغوار ماضيه، لم يدرك أسرار حاضره».

ويقول آخر: «من لا ماضى له فلا حاضر ولا مستقبل له».

ويقول فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمد الأحمدى الظواهرى: «للتاريخ فائدة هائلة، قد لا يعرفها إلا من قرأ التاريخ، أو رأى أعمال وأفكار من قرءوا التاريخ، فإنه يرقى الفكر إلى درجة عظمى، ويؤثر فى الأخلاق تأثيرًا كبيرًا، ويرقى فى

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

العقل أكثر مما يتصور، وعلم يحصر بين يديك العصور الخالية، والأمم البائدة، والممالك السحيقة، بأعمالها وعاداتها وأخلاقها ومدنيتها، وحسناتها وسياستها، ويمثل الحوادث بين يديك كلها لتأخذ منها خلاصة المستحسنات وتبتعد عما عداها لجدير بأن تكون له أعظم فائدة»[١].

• الأسلوب الأمثل لدراسة التاريخ الإسلامى:

عند تناول التاريخ الإسلامى بالحديث ينبغى ألا نهتم بالجانب السياسى منه فقط، أو نرصد الأحداث والظواهر الاجتماعية دون غيرها.

بل إن تعاليم الإسلام التى تنظم حياة الأفراد والمجتمعات ـ فى هذه الجوانب أو غيرها، داخل المجتمع المسلم أو خارجه ـ تعد جزءاً لا يتجزأ من هذا التاريخ، والقائمون على تنفيذ هذه التعاليم من الحكام والعلماء والمجاهدين هم أبرز ما فى هذا التاريخ وأهم عناصره.

ولذا فإن الأسلوب الأمثل لدراسة التاريخ الإسلامى ينبغى أن يحتوى على العناصر التالية:

(١) التعرف على أهم الجوانب المتعلقة بعقيدة الإسلام وشريعته، وجعلها المحور الرئيسى الذى تدور عليه كافة الأحداث التى مرت بها الأمة فى تاريخها الطويل، وإبراز الحقيقة التى تدل على أن عزة الأمة ورفعة رايتها تتناسب ـ طرديًا ـ مع تمسكها بدينها، وإحياء تعاليمه.

(٢) العناية بسير الرجال والأبطال ـ لا فى المجال السياسى فحسب ـ ولكن فى مختلف المجالات: علمية، أو دعوية، أو اجتماعية.

(٣) التصدى لكافة المحاولات الرامية إلى تشويه صورة الإسلام بتشويه تاريخه والإساءة إلى رموزه، وبيان الحقائق المدعومة بالأدلة، والمتجردة من الهوى[٢].

---

(١) العلم والعلماء ونظام التعليم للمؤلف المذكور (ص١٣٥) بتصرف ـ نقلاً عن (دور الدولة الأموية فى خدمة الدعوة الإسلامية) ص٣ ـ رسالة دكتوراه للباحث/ عبد الرحمن أبو عامر.

(٢) انظر (ثقافة الداعية) للدكتور/ يوسف القرضاوى. وانظر (نظرات فى دراسة التاريخ الإسلامى) للدكتور/ عبد الرحمن على الحجى.

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

وفى محاولة لتحقيق الأهداف المشار إليها هنا، والجمع بينها وبين الطريقة التقليدية فى سرد الأحداث وتتبعها واستخلاص العبرة منها، كانت فكرة هذا البحث والذى أسميته: (نظرات فى التاريخ الإسلامى).

وقد احتوت الدراسة على ثلاثة فصول على النحو التالى:

الفصل الأول: بعنوان (بين الجاهلية والإسلام):

وتحدثت فيه عن الجوانب التالية: العقيدة، العبادات والشعائر، الأحكام والشرائع، القيم والأخلاق.

الفصل الثانى: بعنوان (العوامل التى شكلت تاريخ الإسلام):

وتحدثت فيه عن الجوانب التالية: تمسك المسلمين بتعاليم الإسلام، وقيامهم بدعوة غيرهم إلى الإسلام، وقيامهم بالفتوحات الإسلامية، والجهاد ضد قوى الشر والطغيان.

الفصل الثالث: بعنوان (مفتريات حول التاريخ الإسلامى):

وتحدثت فيه عن الجوانب التالية: المسلمون واستعمال السيف، المسلمون والغنائم، العلاقة بين الإسلام والعروبة، الأسباب الخارجية وعلاقتها بانتشار الإسلام.

وفى النهاية نسأل الله تعالى أن يتقبل هذا العمل، ويجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأن يغفر لنا ولوالدينا ولأساتذتنا، وأن يسخرنا لخدمة دينه، وتبليغ دعوته إلى العالمين.

المؤلف

أستاذ دكتور/ طلعت محمد عفيفى سالم

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

الفصل الأول

بين الجاهلية والإسلام

ويشتمل على المباحث التالية:

(١) العقيدة بين الجاهلية والإسلام.

(٢) العبادات والشعائر.

(٣) الشرائع والأحكام.

(٤) القيم والأخلاق.

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

• تمهيد:

جاء فى القرآن الكريم وأحاديث النبى الأمين ﷺ وكلمات الصحابة ما يؤكد على أن فترة ما قبل الإسلام كانت الجاهلية تضرب فيها بجذور عميقة.

وقد ورد ذكرها فى القرآن الكريم فى مواضع أربعة من كتاب الله تعالى هى على التوالى:

(١) فى شأن المنافقين فى غزوة أحد قال رب العزة: ﴿... وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ...﴾ [آل عمران: ١٥٤].

(٢) وفى النعى على ما يخالف شرع الله من أقضية وأحكام، يقول رب العزة: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

(٣) وفى النهى عن تقليد النساء لمن سبقهن فى زيّهن وملابسهن قال ربنا: ﴿... وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ...﴾ [الاحزاب: ٣٣].

(٤) وفى شأن الكفار يوم صلح الحديبية جاء قوله سبحانه: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [الفتح: ٢٦].

أما السنة فقد ورد فيها هذا اللفظ مراراً وتكراراً، وأريد به تارة الزمن السابق على الإسلام، مثل حديث: «من أحسن فى الإسلام لم يؤاخذ بما عمل فى الجاهلية، ومن أساء فى الإسلام أُخِذَ بالأول والآخر»(١).

وتارة يطلق ويراد به ما كان سائداً قبل الإسلام من عوائد وتقاليد، مثل حديث: «ليس منا من لطم الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية»(٢).

وقد وردت هذه اللفظة فى جميع كتب السنة قاطبة، وتكرر ذكرها فى كتاب مثل صحيح البخارى فى أكثر من خمسين موضعًا وفى مسند أحمد فى أكثر من مائتى موضع(٣).

(١) أخرجه البخارى (جـ ٤، ص١٩٥) كتاب استتابة المرتدين والمعاندين ـ باب الترجمة/ وأخرجه مسلم (جـ١، ص١١١) كتاب الإيمان ـ باب هل يؤاخذ بأعمال الجاهلية.

(٢) أخرجه البخارى (جـ١، ص٢٢٥) كتاب الجنائز ـ باب ليس منا من شق الجيوب.

(٣) راجع المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى ـ مادة: جهل.

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

جاء فى كتاب النهاية فى غريب الحديث والأثر عند الحديث عن لفظة (جاهلية): «قد تكرر ذكرها فى الحديث، وهى الحال التى كانت عليها العرب قبل الإسلام من الجهل بالله ورسوله وشرائع الدين، والمفاخرة بالأنساب والكبر والتجبر وغير ذلك»[١]. اهـ.

ومن كلمات الصحابة فى هذا المقام كلمة سيدنا جعفر بن أبى طالب أمام النجاشى ملك الحبشة: «أيها الملك كنا قومًا أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة... إلخ»[٢]. وسنذكرها بتمامها فيما بعد إن شاء الله.

وتُعَدُّ معرفة المسلم بما كان عليه أمر الناس فى الجاهلية ضرورة لا غنى عنها، وذلك لتحقيق أمرين:

(١) إدراك عظم المنة التى أنعم الله بها على الناس بالإسلام، فإن الأشياء تتميز بأضدادها، وصدق الله إذ يقول ـ فى الإشارة إلى هذا: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

(٢) التعرف على حقيقة هذه الجاهلية دون إخفاء أو مجاملة، حيث حاول البعض أن يعرض تاريخ هذه الجاهلية ـ وبخاصة فى بلاد العرب ـ مبرأ من كل عيب إلا فى النادر القليل، ليؤسس بذلك للدعوة القومية، ويضرب الإسلام فى خصيصة من خصائصه وهى العالمية.

وفى إشارة مجملة إلى أهمية المعرفة بهذه الجاهلية يقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه: «إنما تُنْقَض عُرَى الإسلام عروة عروة إذا نشأ فى الإسلام من لم يعرف الجاهلية».

وحقًا ما قال سيدنا عمر فإن الذى يشاهد وحشة الليل وظلمته أقدر على معرفة ضوء النهار وقيمته، أما الذين يعيشون غافلين بما كانت تعج به الجاهلية من

(١) النهاية فى غريب الحديث والأثر ـ ابن الأثير (جـ١، ص٣٢٣) مادة: جهل.
(٢) سيرة ابن هشام (جـ١، ص٣٢٧) طبعة المكتبة التوفيقية بالأزهر.

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

ضلالات وانحرافات فلا يدركون قيمة هذا الدين، ولا قدر النعمة التى يحصّلونها بتمسكهم به والتزامهم بتعاليمه، ولذلك يفرّطون فيه، وتتلقفهم دعاوى الشر والضلال فتؤثر فيهم، وتنال بغيتها منهم.

وفى ضوء ما سبق نعرض ما كان عليه أمر الناس فى الجاهلية فى جوانب العقيدة والعبادة والشريعة والأخلاق، ونرى ماذا قدم الإسلام للناس فى كل مجال منها، وذلك فى المباحث التالية.

* * *

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

المبحث الأول

العقيدة بين الجاهلية والإسلام

(١) أصالة العقيدة فى النفس الإنسانية:

تتفق ملاحظات العلماء مع ما يقول به الإسلام من أن العقيدة رافقت رحلة الإنسان منذ وطئت أقدامه الأرض، بحيث لم يخل عصر من العصور عن عقيدة يعتنقها الإنسان، سواء كانت هذه العقيدة حقًا أو باطلاً.

يقول هنرى برجسون: «لقد وجدت وتوجد جماعات إنسانية من غير علوم وفنون وفلسفات، ولكنه لم توجد قط جماعة بغير ديانة»(١).

ويقول المؤرخ الإغريقى بلوتارك: «لقد وجدت فى التاريخ مدن بلا حصون، ومدن بلا مدارس، ومدن بلا قصور، ولكن لم توجد مدن بلا معابد»(٢).

وفى الحديث القدسى: «إنى خلقت عبادى حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم(٣)، وحرَّمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بى ما لم أُنزل به سلطانًا»(٤).

ففى هذه الرواية الصحيحة ما يفيد أن جميع الخلق دون استثناء ـ وهو ما يدل عليه لفظ (كلهم) ـ خُلِقُوا مستعدين لقبول الهداية، ولكن الشياطين تغلبت عليهم، وبدلت وغيرت من عقيدتهم.

---

(١) الدين (ص٨٥) دكتور/ محمد عبد الله دراز ـ مطبعة السعادة سنة ١٩٦٩م.

(٢) وجود الله (ص١٩) دكتور/ يوسف القرضاوى ـ مكتبة وهبة.

(٣) قال فى النهاية (جـ١، ص٣١٧) مادة: جول: «فاجتالتهم الشياطين» أى استخفتهم، فجالوا معهم فى الضلال.

(٤) أخرجه مسلم (جـ٤، ص٢١٩٧) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ـ باب الصفات التى يُعْرف بها فى الدنيا أهل الجنة وأهل النار.

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

ولما كان الإنسان ـ فى كل زمان ومكان ـ فى حاجة إلى من يأخذ بيده إلى العقيدة الصحيحة، ويرشده إلى الوجهة السديدة لينتصر على تلك الشياطين، كان الله تعالى يبعث الرسل بين الحين والآخر لهذا الغرض، بحيث لم يخل عصر من العصور من هؤلاء المصلحين.

يقول الله تعالى: ﴿... وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤].

وهذا ما يؤكد عمق العقيدة ورسوخها فى النفس الإنسانية منذ وجودها على هذه الأرض.

(٢) واقع العقيدة قبل ظهور الإسلام:

كان الضلال المبين سمة بارزة لكل ما هو سائد على ظهر الأرض ـ كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم ـ ولم يستثن من هذا الضلال سوى عدد ضئيل جداً من البشر، كانوا بمثابة قطرة فى بحر.

ففى الحديث: «إن الله نظر إلى أهل الأرض، فمقتهم، عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب»[1].

وتجلى هذا الضلال بصورة واضحة فى أمر العقيدة، فلم يكن هناك شىء صحيح، وإنما تخبط وتيه فى شتى أرجاء الأرض.

يقول الشاعر أحمد شوقى مشيراً إلى هذا:

أتيت والناس فوض لا تمر بهم ... إلا على صنم قد هام فى صنم

ففى بلاد العرب انتشرت الوثنية وعبادة الأحجار على المستوى العام والخاص.

فكان من بين أصنامهم العامة اللات والعزى ومناة، وقد ذكرت بأسمائها فى القرآن الكريم، فى قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٩، ٢٠]، ومن أصنامهم كذلك «هبل» الذى نادى أبو سفيان باسمه يوم أحد قائلاً: اعل هبل.

(١) أخرجه مسلم (جـ٤، ص٢١٩٧) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ـ باب الصفات التى يُعْرف بها فى الدنيا أهل الجنة وأهل النار.

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

ومن جملة هذه الأصنام العامة ما كانوا يحيطون به الكعبة، حتى امتلأ فناؤها بعدد كبير منهم، وقد ظلت قائمة حول الكعبة حتى هدمها رسول الله ﷺ بمكة يوم الفتح.

أورد البخارى فى صحيحه عن عبد الله رضى الله عنه قال: «دخل النبى ﷺ مكة يوم الفتح، وحول البيت ستون وثلاثمائة نُصُب، فجعل يطعنها بعود فى يده ويقول: جاء الحق وزهق الباطل، جاء الحق، وما يبدئ الباطل وما يعيد»[١].

وإلى جانب هذه الأصنام العامة اتخذ أهل كل دار لأنفسهم صنمًا يعبدونه.

قال ابن إسحاق: «اتخذ أهل كل دار فى دارهم صنمًا يعبدونه، فإذا أراد الرجل منهم سفرًا تمسَّح به حين يركب، فكان ذلك آخر ما يصنع حين يتوجه إلى سفره، وإذا قدم من سفره تمسح به، فكان ذلك أول ما يبدأ به قبل أن يدخل على أهله، فلما بعث الله رسوله محمدًا ﷺ بالتوحيد، قالت قريش: «أجعل الآلهة إلهًا واحدًا، إن هذا الشىء عجاب»[٢].

ومن العجيب فى اتخاذهم الأوثان آلهة أنها تحولت إلى عبادة جنس الحجارة والمأكولات، مما يدل على الدرك الأسفل الذى انحطوا إليه فى هذا المقام.

أورد البخارى فى صحيحه عن أبى رجاء العطاردى قال: «كنا نعبد الحجر، فإذا وجدنا حجرًا هو أخير منه ألقيناه وأخذنا الآخر، فإذا لم نجد حجرًا جمعنا جُثْوة[٣] من تراب، ثم جئنا بالشاة فحلبنا عليه، ثم طفنا به»[٤].

ولكثرة ما شاع بين العرب من عبادة الأوثان كانوا ينعتون دائمًا بالمشركين سمة لهم، واسمًا لزمهم، رغم أن أممًا أخرى سبقتهم أو عاصرتهم كانت تشرك بالله[٥].

(١) أخرجه البخارى (جـ٣، ص٦٢) كتاب المغازى ـ باب أين ركز النبى ﷺ الراية يوم الفتح.
(٢) سيرة ابن هشام (جـ١، ص٨٧).
(٣) جُثْوة: جاء فى النهاية (جـ١، ص٢٣٩) مادة: جثا: «الجُثَا جمع جُثْوَة، وهى الشىء المجموع».
(٤) أخرجه البخارى (جـ٣، ص٧٩) كتاب المغازى ـ باب وفد بنى حنيفة وحديث ثمامة بن أثال.
(٥) انظر «سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد» الإمام محمد بن يوسف الصالحى ـ طبعة سنة ١٩٧٤م ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

بل ورد أنهم كانوا يتخذون إلهًا من العجوة، فإذا جاع أحدهم لم يجد ما يسد به جوعته سوى إلهه فيأكله.

والخلاصة أن عبادة الأصنام كانت المظهر السائد فى عقيدة العرب[١]، وإن لم يمنع ذلك وجود تجمعات لليهود كالتى كانت فى المدينة وخيبر، وتجمعات للنصارى كالتى كانت فى اليمن.

وقد امتدت الوثنية إلى تلك الديانتين أيضًا فكدرت صفاءهما، وألغت صلاحيتهما لقيادة البشرية. ويكفينا فى هذا ما سجله القرآن الكريم بشأن تسرب الشرك والوثنية إليهما.

يقول رب العزة: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ...﴾ [التوبة: ٣٠، ٣١].

ولم تسلم بقعة من الأرض آنذاك من ألوان مختلفة من الشرك، فعبدت الكواكب وعبدت النار وغير ذلك كثير، حتى إن بلدًا كالهند ـ على سبيل المثال ـ تجاوز فيها عدد الآلهة فى القرن السادس مئات الملايين.

يقول الأستاذ أبو الحسن الندوى: «قد بلغت الوثنية أوجها فى القرن السادس، فقد كان عدد الآلهة فى «ويد» ثلاثة وثلاثين، وقد أصبحت فى هذا القرن ٣٣٠ مليونًا، وقد أصبح كل شىء رائعًا وكل شىء جذابًا وكل مرفق من مرافق الحياة إلهًا يُعبَد، وهكذا جاوزت الأصنام والتماثيل والآلهة والإلهات الحصر، وأربت على العد، فمنها أشخاص تاريخية، وأبطال تمثل فيهم الله ـ زعموا ـ فى عهود وحوادث معروفة، ومنها جبال تجلّى عليها بعض آلهتهم، ومنها معادن كالذهب والفضة تجلى فيها الإله، ومنها آلات الحرب وآلات الكتابة وآلات التناسل، وحيوانات أعظمها البقرة، والأجرام الفلكية وغير ذلك...»[٢].

(١) راجع «سيرة ابن هشام» (جـ١، من ص٨٠: ص٩٢) فقد تعرض فيها ابن هشام لذكر أصناف الأصنام المعبودة لدى العرب وأسماء القبائل التى اختصت بكل صنم منها.

(٢) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين (ص٥٦) أبو الحسن الندوى ـ طبعة عاشرة سنة ١٩٧٧م ـ طبع دار القلم بالكويت.

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

(٢) اهتمام الإسلام بأمر العقيدة:

وجه الإسلام كل اهتمامه منذ اللحظة الأولى لنزول القرآن على النبى محمد ﷺ إلى تصحيح العقائد القائمة، ودعوة الناس إلى التوحيد الخاص لله تبارك وتعالى، ونبذ كافة مظاهر الشرك والوثنية.

ويبدو هذا الاهتمام بأمر العقيدة واضحًا من خلال ملاحظة ما يلى:

(أ) تركيز القرآن الكريم خلال الفترة المكية التى امتدت إلى ثلاثة عشر عامًا كاملاً على قضية العقيدة دون غيرها، واشتماله خلال هذه الفترة على إجابة لكل تساؤل حول ماهية الإنسان؟ وسر وجوده؟ ومصيره بعد الموت؟ ومن خلقه وخلق ما حوله من الكائنات التى يراها أو تغيب عن عينه؟ وكيف يتعامل الإنسان مع خالق هذا الكون؟ وما صفاته؟ وكيف يتصل بخلقه؟ وماذا أعد للطائعين من عباده، والعصاة منهم... إلخ.

ولم يتناول القرآن الكريم خلال هذه الفترة أية تفريعات تتعلق بنظام الحياة إلا بعد أن علم ربنا أن قضية العقيدة قد استوفت حقها من البيان، ووجد من البشر من كان صادقًا فى إيمانه بها، واعتناقه لها.

ولما كان تغيير العقائد التى ألفها الناس وورثوها عن آبائهم وأجدادهم أمرًا ليس بالهين، فقد تنوعت أساليب القرآن الكريم فى هذه المسألة، ما بين مثل يضربه، أو قصة يسوقها، أو عظة يهز بها أوتار القلوب، وتارة يستخدم أسلوبًا عقليًا، وتارة يستخدم أسلوبًا جدليًا... إلخ. كل هذا للوصول إلى الإقناع بالعقيدة الصحيحة، واستقرارها وتمكنها من قلوب المؤمنين بها.

(ب) تأكيد الإسلام الدائم على أن صحة العقيدة وسلامتها لا بديل عنه لقبول أى عمل من الأعمال.

يقول رب العزة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ...﴾ [النساء: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿... وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

أَعْمَالُهُمْ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة:٢١٧].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ [الزمر:٦٥، ٦٦].

ومن ثمَّ كان توحيد الله تعالى وعدم الشرك به أول الواجبات ورأس الوصايا.

يقول رب العزة: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا...﴾ [النساء:٣٦].

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا...﴾ [الإسراء:٢٣].

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا...﴾ [الأنعام:١٥١].

(٤) منهج الإسلام فى تصحيح العقيدة:

عمل الإسلام فى هذا المجال على محورين أساسيين يكمل أحدهما الآخر، يتمثل الأول منهما فى الهدم والآخر فى البناء.

وقد تعرَّض الإسلام فى المحور الأول لكل ما كان قائمًا من معتقدات فى الجاهلية فكشف عوارها، ونقض بنيانها، وساق الحقائق تلو الحقائق على تفاهتها وحقارتها.

اسمع إليه وهو يخاطب الوثنيين من عباد الأصنام والنار والكواكب وغير ذلك، فيقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف:١٩٤ ـ ١٩٨].

﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النحل: ٢٠، ٢١].

﴿... وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣، ١٤].

﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٣].

﴿يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنفَعُهُ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُو لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾ [الحج: ١٢، ١٣].

والآيات فى هذا المعنى كثيرة، ولكن فيما ذكرت كفاية.

فى الوقت ذاته واجه القرآن الكريم أهل الكتاب المشركين، وفند مزاعمهم، وأبطل معتقداتهم.

وإليك بعض ما ورد بهذا الشأن:

يقول الله تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١].

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٠١].

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩].

كما فند القرآن الكريم مزاعم اليهود والنصارى فى أنهم أبناء الله وأحباؤه، ومزاعم اليهود فى قولهم إن الله فقير ونحن أغنياء، وزعمهم أن يد الله مغلولة، وأبان عن تحريف الفريقين لما أنزله الله إليهم من كتب لقاء عرض قليل من أعراض

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

الدنيا، وغير ذلك كثير من موضوعات العقيدة.

وفى المحور الثانى وهو محور البناء قدم الإسلام عقيدة تتميز بمجموعة من الخصائص[١]، نشير إليها إجمالاً فيما يلى:

(أ) أنها عقيدة واضحة لجميع البشر على اختلاف مشاربهم الفكرية، ومستوياتهم العقلية، فالعامِّى لا يجد صعوبة فى فهم عقيدة الإسلام والتعبير عنها، بعكس ما يسود من عقائد عند غير المسلمين، مما يجعلهم يقولون: «اعتقد وأنت أعمى»، أو «أغمض عينيك ثم اتبعنى».

(ب) أنها عقيدة شاملة تجيب على كافة التساؤلات، وتعتمد فى إثباتها على إثارة العواطف مع إقناع العقول، فهى ترقى بالعقل والقلب معًا.

(جـ) أنها عقيدة تتفق مع نداء الفطرة فى كل ما تدعو إليه، لا يشعر الإنسان فى ظلالها بتناقض، ولا يصيبه اضطراب.

(د) أنها عقيدة ربانية، فمصدرها من الله، والدال عليها كتاب الله، والناطق بها رسول الله ﷺ وليس لأحد ـ كائنًا من كان ـ أن يتدخل فيها بإضافة شىء إليها أو حذف شىء منها.

(هـ) أنها عقيدة تربط بين الخالق والمخلوقين دون حاجة إلى وساطة كاهن يدخل الناس على الله متى شاء ويمنعهم متى شاء.

(٥) دور العقيدة فى بناء المجتمع:

حين بدأت دعوة الإسلام هذه البداية الصحيحة فى العناية بأمر العقيدة أولاً نجحت فى استقطاب الكثير من الناس ـ ولا تزال ـ نحو الإسلام، فلفظ القوم معتقداتهم القديمة المليئة بالاضطرابات والخرافات، وأقبلوا على عقيدة التوحيد طائعين مختارين.

ومن أمثلة هذا الإيمان الاختيارى ـ حبًا فى التوحيد الخالص، وكفرًا بالأصنام

(١) راجع فى تفصيل هذه الخصائص كتاب (الخصائص العامة للإسلام) للدكتور/ يوسف القرضاوى.

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

الهزيلة الضعيفة ـ قول الصحابى الجليل أبى ذر الغفارى حين رأى صنمه ومعبوده وقد بال عليه الثعلب، فأنشد يقول:

أرب يبـــول الثعلبـــان برأســـه لقد ضل من بالت عليه الثعـالب

فلو كـــان ربًا كـان يمنع نفسه فلا خير فى ربٍّ نأته المطـالب

برئت من الأصنام فى الأرض كلها وآمنت بالله الذى هـــو غـــالب

ومن أمثلته أيضًا ما جاء فى قصة إسلام الصحابى الجليل عمرو بن الجموح رضى الله عنه، فقد ذُكر أن أولاده سبقوه إلى الإسلام، فعمدوا إلى الاحتيال لحمل والدهم على بغض الأصنام وكراهيتها، فكان أن حملوا صنم أبيهم وقرنوا بينه وبين كلب ميت بحبل، وألقوا بهما فى بئر لبنى سلمة تسيل إليها الأقذار، وتتجمع فيها.

فلما رأى أبوهم ما حدث لصنمه من الإهانة دون قدرة منه على أن يدفع عن نفسه ما حدث له، أنشد يقول:

والله لـو كنـت إلهًا لـم تكـن أنت وكلب وسط بئر فى قرن

ثم ما لبث أن دخل فى دين الله.

وكما رأى القدامى فى مسائل التوحيد كما عرضها الإسلام جذبًا لهم لتوافقها مع الفطرة، وبعدها عن التناقض أو الاضطراب مع نداء العقل، فقد رأى فيها المُحدَثون سهولة فى عرضها، ووضوحًا فى مبادئها، حيث لا يخفى على أحد من المسلمين ـ مهما قلت درجة ثقافته ـ معرفة ما يجب اعتقاده، بعكس الأديان الأخرى التى تترك كثيرًا من المسائل وأمامها علامات استفهام متعددة دون جواب، وهذا ما جعل العقلاء منهم يؤثرون الإسلام على ما سواه.

وفى كون العقيدة الإسلامية لا تزال حتى يومنا هذا تستقطب أعدادًا كثيرة من غير المسلمين ليدخلوا فى الإسلام، يقول فرانك ستوك ـ وهو شاب أمريكى اعتنق الإسلام ـ «إن المبادئ الإسلامية التى استوقفت نظرى واستقطبت جل اهتمامى أكثر من غيرها حين أقبلت على الإسلام، هى أن المسيحية كثيرًا ما تترك جوانب باهتة

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

غامضة فى التصور الاعتقادى يعلوها الشك والريب. نقاط سكت عنها الدين المسيحى ولم أكن أدرى ماذا أفعل تجاهها. أما الإسلام فكل شىء فيه واضح لا لبس فيه ولا غموض، وهو يستغرق كافة جوانب الحياة الإنسانية ويشملها، فلا أحس بأدنى شك أو ارتياب، كما لا أشعر فى ظله أننى تائه أو ضال».

وحين استقرت العقيدة فى القلوب نزلت تعاليم الإسلام فصادفت أرضًا صالحة، فأينعت وأثمرت وآتت أكلها بإذن ربها، فعمَّ نور الله على العالمين، ودخل الناس فى دين الله أفواجًا.

وقد لفتت هذه الملاحظة نظر أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها، فعبَّرت عنها فى كلمات وجيزات قالت فيها: «إنما نزل أول ما نزل منه ـ أى من القرآن ـ سورة من المفصَّل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شىء لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندع الخمر أبدًا، ولو نزل لا تزنوا لقالوا لا ندع الزنا أبدًا، لقد نزل بمكة على محمد ﷺ ـ وإنى لجارية ألعب ـ ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ [القمر:٤٦]، وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده»[1].

وبهذا المنهج الربانى ينبغى أن يقتدى الدعاة إلى الله، فيوجهوا همتهم إلى ربط الناس بخالقهم، وتصحيح ما اعوج من عقائدهم، وليهتدوا فى هذا بهدى القرآن الكريم، ويتجنبوا مجادلات وسفسطات علماء الكلام التى لا تقيم اعوجاجًا، ولا تؤسس إيمانًا.

* * *

(١) أخرجه البخارى (جـ٣، ص٢٢٧) كتاب فضائل القرآن ـ باب تأليف القرآن.

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

المبحث الثانى

العبادات والشعائر

(١) تلازم العقيدة مع العبادة، وبيان ما كانت عليه قبل الإسلام:

إذا كانت العقيدة متأصلة فى النفس الإنسانية ـ كما سبق وأن بينا ـ فإن العقيدة تُتَرْجَمُ دائمًا عند أصحابها إلى شعائر ومناسك يقومون بها حيال من يعتقدون فيه القوة أو النفع.

فإذا جئنا لنتعرف على ما كان سائداً من شعائر وعبادات ساعة ظهور الإسلام فلن نجد أمامنا سوى مزيج من ألوان العبادة تغلغلت فى بعضها مظاهر الوثنية، واصطبغ بعضها بصبغة التعذيب والإيلام للجسد الإنسانى، وصولاً ـ فى زعم أصحابها ـ إلى مرضاة الله تعالى.

فالعرب كانوا يتقربون إلى آلهتهم ببعض القربات كالنحر لها[١]، والطواف والصلاة عندها، والدعاء والاستغاثة بها، وحكى القرآن الكريم عنهم فى تبرير عبادتهم لتلك الآلهة قولهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ...﴾ [الزمر: ٣].

وعُرِف عنهم الطواف بالبيت عرايا، وكانوا يقولون فى تلبيتهم: «لبيك لا شريك لك، إلا شريكًا هو لك، تملكه وما ملك» وكانوا حال طوافهم يصفِّرون ويصفقون كما حكى عنهم القرآن ذلك فى قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلاَتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاءً وَتَصْدِيَةً...﴾ [الأنفال: ٣٥].

قال ابن عباس رضى الله عنهما: «كانت قريش تطوف بالبيت عراة تصفِّر وتصفق، والمكاء الصفير، والتصدية التصفيق»[٢].

---

(١) أشار القرآن الكريم إلى شىء من هذا فى مواضع متعددة، ومن ذلك قوله تعالى فى سورة الأنعام: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا﴾.

(٢) تفسير ابن كثير (جـ٢، ص٣٠٦) طبعة الحلبى.

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

وفى إشارة إلى ما كان سائدًا عند غير العرب ننقل هذا النص الذى ندرك من خلاله ـ إضافة إلى ما سبق ذكره ـ عظمة الإسلام، والنعمة التى أنعم الله بها علينا من خلال هذا الدين.

يقول العلامة سليمان الندوى: «ما من دين خلا من العبادة لله، لكن الأديان القديمة حَسِبَ أتباعها أن الدين يطالبهم بإيذاء أجسامهم وتعذيبها، وأن الغرض من العبادة إدخال الألم على الجوارح، وأن الجسم إذا ازدادت آلامه كان فى ذلك طهارة للروح، ونزاهة للنفس، وعن هذه العقيدة نشأ التبتل عند الهنادك، والرهبانية عند النصارى، وابتدعوا من رياضات الجسم أنواعًا عجيبة، أشدها على الجسم أفضلها عندهم، وأقربها إلى الله فى زعمهم»[1].

ويردف العلامة سليمان الندوى كلامه هذا ببعض الأمثلة الواقعية، فيقول: «... فمنهم من آلى على نفسه ألا يغتسل طول حياته، ومنهم من لا يلبس إلا المسوح والثياب الخشنة، ومنهم من آلى على نفسه أن يعيش عريانًا إلا من خرقة يستتر بها، ماضيًا على ذلك مهما أثّرت فيه حرارة القيظ أو زمهرير الشتاء، ومنهم من لزم كهفًا فلا يبرحه أبدًا، وبعضهم اختار لنفسه أن يبقى واقفًا فى حر الشمس طول حياته، ومنهم من يحلف ألا يقتات إلا بورق الشجر، ومنهم من بقى حصورًا لا يتزوج، ومنهم من يعد من العبادة والقربة إلى الله منع التناسل، ومنهم من يرفع إحدى يديه فى الهواء، ويبقى كذلك طول عمره حتى تيبس يده وتجف، وكان بعضهم يحبس نفسه ما استطاع وهو يحسب أن ذلك من العبادة، ولا يزال فى الهند من يتعلق بشجرة منكسًا رأسه إلى تحت.

وهذا كله وأمثاله مما كان عليه أتباع الأديان قبل مبعث سيدنا محمد ﷺ، ظانين أن أعمالهم هذه من أقرب الوسائل إلى الله، ومن أفضل ما تزكى به النفوس، وتُطهَّر به الأرواح»[2].

---

(١) الرسالة المحمدية (ص٢٤١) تعريب محمد ناظم الندوى ـ نقلاً عن (الفتح الإسلامى للدولة الرومانية، وأثره فى الدعوة الإسلامية) للدكتور/ قطب عبد الحميد قطب.

(٢) المرجع السابق (ص٢٤١ ـ ٢٤٢).

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

(٢) مكانة العبادة فى الإسلام:

يشير القرآن الكريم إلى أن الغاية من خلق الإنسان هى عبادته لله تبارك وتعالى وذلك فى قوله سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

والعبادة بمعناها العام الخضوع لله تعالى خضوعًا كاملاً بالتزام ما أمر، واجتناب ما نهى، مع شدة الحب لله وشدة الخوف منه.

وبمعناها الخاص يراد بها ما يؤديه المرء من طاعات، وما يلتزمه من قربات رجاء مغفرة الله ورحمته.

وترتبط العبادة فى الإسلام بالعقيدة ارتباطًا وثيقًا، ويوجب الإسلام على أتباعه الالتزام بما يمليه عليهم دينهم من عقائد وعبادات دون تفريق.

ومن الأدلة على ذلك من كتاب الله تعالى قوله سبحانه: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

واقترن ذكر الإيمان بالعمل الصالح فى كثير من الآيات، كما أُمر المؤمنون بشتى ألوان العبادات من صلاة وصيام وغيرهما، ونودوا قبل الأمر بـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

وقد فطن إلى هذا الارتباط الوثيق بين العقيدة والعبادة سلف الأمة الصالح، وعلى رأسهم الإمام البخارى فى كتابه (الجامع الصحيح) فكان كثيرًا ما يترجم لأبواب كتاب الإيمان بأعمال تُعَدُّ من صميم العبادة، وذلك كقوله: «باب قيام ليلة القدر من الإيمان، وقوله: باب الصلاة من الإيمان... إلخ».

ولذلك عُدَّ التقصير فى العبادة وإهمالها جُرْمًا يعاقب عليه المرء كإهماله فى أمر العقيدة ومسائل الإيمان.

يقول النبى المصطفى ﷺ: «عُرَى الإسلام وقواعد الدين ثلاثة، عليهن أُسِّس

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

الإسلام، من ترك واحدة منهن فهو بها كافر حلال الدم، شهادة أن لا إله إلا الله، والصلاة المكتوبة، وصوم رمضان»[1].

(٣) منهج الإسلام فى إصلاح العبادة:

توجَّه الإسلام إلى العبادات القائمة فعمل على تقويمها وتصحيحها فى وجهتها وأسلوبها.

ففى شأن الوجهة أبان عن أن العبادة لا يتوجه بها أحد لغير الله، فهو المستحق للعبادة دون سواه.

قال تعالى: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٤ ـ ٦٦].

وبعد هذه الأوامر المجملة، والتى تكرر منها كثير فى القرآن الكريم تعرَّض لتفصيلات فى مجال العبادة مؤكداً على وجوب فعلها لله دون سواه، سواء كانت عبادات قلبية أو فعلية، فمن العبادات القلبية على سبيل المثال الحب والخشية والرجاء والتوكل، وكلها عبادات لا يصح التوجه بها لغير الله.

ففى شأن الحب قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ...﴾ [البقرة: ١٦٥].

ويتحرك المؤمن فى إطار هذا الحب لله تعالى فيحب من يحبه من عباد الله طاعة لله، وينفذ من الأقوال والأفعال والأحكام ما قد أذن فيه الله وأحبه، وهكذا.

وفى شأن الخشية، قال تعالى: ﴿... فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ...﴾ [المائدة: ٤٤].

وقال: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

---

(١) رواه أبو يعلى، وقال عنه الهيثمى فى مجمع الزوائد (جـ١، ص٤٧): إسناده حسن، مع التنبيه على أن من العلماء من حمل الحديث على ظاهره فى أمر الصلاة والصيام، ومنهم من حمل الكفر فيه وفى أمثاله على من جحد فرضيتهما.

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

وفى شأن الرجاء قال: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ [الشرح: ٧، ٨].

وفى شأن التوكل قال: ﴿... وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

ومن العبادات الفعلية الاستعانة والصلاة ومناسك الحج والعمرة والذبح.

ففى شأن الاستعانة والاستغاثة جاء قوله تعالى ـ بأسلوب يفيد الاختصاص ـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

وقال عليه الصلاة والسلام: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك»[1].

وفى التوجه بالصلاة لله وحده لا شريك له، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

وكما أمر المسلم بإيقاع الصلاة كلها لله، فإنه لا يجوز التوجه بأركان منها كالركوع والسجود لغير الله، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

وفى أداء مناسك الحج والعمرة لله دون سواه يقول رب العزة: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦].

وفى الذبح لله يقول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ١، ٢]، أى: فصلِّ لربك وانحر لربك.

واتجه الإسلام إلى العبادات ـ بعد أن حدد وجهتها ـ ليعدِّل ويقوِّم من أسلوبها وشكلها، وراعى الإسلام فى هذا الجانب عدة أشياء نلخصها فيما يلى:

---

(١) أخرجه الترمذى وقال عنه: حديث حسن صحيح، (جـ٤، ص٦٦٧) كتاب صفة القيامة ـ باب رقم ٥٩ منه/ وأخرجه أحمد (جـ١، ص٢٩٣).

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

(أ) عمد الإسلام إلى العبادات فعمل على تنويعها ما بين عبادات بدنية، وأخرى مالية، وما بين عبادات تتكرر فى كل يوم، وأخرى فى كل عام، وثالثة فى العمر مرة، وذلك ليدفع الملل عن الإنسان من ناحية، ويزكى فيه جوانب عديدة من ناحية أخرى.

(ب) جعل الإسلام العبادات تستغرق وقتًا وجيزاً من وقت الإنسان، ليتمكن من المواءمة بين كافة الواجبات المكلَّف بها حيال ربه وحيال أهله، وحيال جسده، ولم يُجز لأحد أن ينقطع بالكلية عن الحياة ويعيش راهبًا، بحجة عبادة الله تعالى، وفى الحديث: «إن لربك عليك حقًا، ولنفسك عليك حقًا، ولأهلك عليك حقًا، فأعط كل ذى حق حقه»[1]. بل إن الإسلام يرتقى بهذه الأعمال الدنيوية، ويضعها فى مصاف العبادات متى صلحت النيات، وابتغى بهذه الأعمال وجه الله تعالى.

(جـ) راعى الإسلام فى أمر العبادات اختلاف ظروف الشخص الواحد من حين لآخر، وظروف كل شخص عن غيره فأعطى مساحة للرخص فى أداء العبادات، كالتيمم عند فقد الماء أو تعذر استعماله، وقصر الصلاة وجمعها فى السفر، وصلاته على أية هيئة تتيسر إذا كان مريضًا، وجواز الفطر فى رمضان للحامل والمرضع والمريض والشيخ الكبير، وتكليف من يستطيع منهم القضاء فى أيام أخر، ومن لم يستطع فعليه أن يطعم مسكينًا عن كل يوم أفطره[2].

(٤) أثر العبادات فى حياة العُبَّاد:

يمكن أن نلخص الآثار المترتبة على أداء العبادات فى النقاط التالية:

(أ) شعور المرء فى ظل العبادات بالطمأنينة، والسكينة التى تلبى أشواق روحه، وتسمو بنفسه للارتباط بالملأ الأعلى، والتى لن تستطيع أية إمكانات مادية ملأها، أو تلبية حاجتها.

يقول الإمام ابن القيم: «فى القلب شعث لا يلمه إلا الإقبال على الله.

(١) أخرجه البخارى (جـ١، ص٣٣٧) كتاب الصوم ـ باب من أقسم على أخيه ليفطر فى التطوع، ولم ير عليه قضاء إذا كان أوفق له.

(٢) انظر (الخصائص العامة للإسلام) ـ دكتور/ يوسف القرضاوى ـ ص١٥٥.

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس بالله.

وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفته، وصدق معاملته.

وفيه قلق لا يسكنه إلا الاجتماع عليه، والفرار إليه.

وفيه نيران حسرات لا يطفئها إلا الرضا بأمره ونهيه وقضائه ومعانقة الصبر على ذلك إلى وقت لقائه.

وفيه فاقة لا يسدها إلا محبته والإنابة إليه ودوام ذكره وصدق الإخلاص له، ولو أُعطى الدنيا وما فيها لم تسد تلك الفاقة أبدًا»[1].

(ب) استمداد الإنسان بأدائه للعبادات للقوة والطاقة التى تعينه على مواجهة تقلبات الحياة ومصاعبها.

يقول رب العزة: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلاَّ الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾ [المعارج: ١٩ ـ ٢٤].

ويقول قتادة رضى الله عنه: «من يتق الله يكن معه، ومن يكن الله معه فمعه الفئة التى لا تُغْلَبُ، والحارس الذى لا ينام، والهادى الذى لا يضل»[2].

(جـ) انضمام الإنسان إلى قافلة المؤمنين بالله الطائعين له فى السماء والأرض، وعلى مدى الدهور والأزمان، وما أسعدها من رفقة، وأجملها من صحبة كما قال رب العزة: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

«وأى إنسان أسعد ممن يرافق هؤلاء ويرافقونه؛ إنها ليست مرافقة جسد وصورة، ولكنها مرافقة روح ووجدان، وفكر وقلب، وكفى أنه «معهم» وليس خلفهم، ولا قريبًا منهم... ولا يحسبن امرؤ من الناس أن مرافقة هؤلاء للمؤمن

(١) نقلاً عن المرجع السابق (١٢).

(٢) جامع العلوم والحكم (ص٢٢٨) ابن رجب الحنبلى ـ طبع مكتبة الدعوة الإسلامية.

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

شىء هين ضئيل، أو أمر خيالى موهوم، فإنه لفرق كبير بين إنسان تاريخه هو تاريخ شخصه أو أسرته أو حزبه، فهو قريب القاع، سطحى الجذور، وإنسان تاريخه هو تاريخ الإيمان والهدى من عهد آدم، تاريخه هو تاريخ نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد من أولى العزم من الرسل ومن غيرهم من أصحاب النبوات والرسالات. . .»[١].

وفى الحديث عن عبد الله رضى الله عنه قال: كنا إذا صلينا خلف النبى ﷺ قلنا: السلام على جبريل وميكائيل، السلام على فلان وفلان، فالتفت إلينا رسول الله ﷺ فقال: «إن الله هو السلام، فإذا صلى أحدكم فليقل: التحيات لله، والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فإنكم إذا قلتموها أصابت كل عبد لله صالح فى السماء والأرض. . .»[٢].

(د) وفى توجه المرء بالعبادة لله وحده لا شريك له ما يجمع عليه أمره، ويلم شمله على غاية واحدة يسعى لرضاها، ويتجنب سخطها، بعكس المشرك الذى أخضع نفسه لأكثر من إله، فهو مشتت القلب، مفرَّق الهم.

قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٢٩].

هذا؛ وتبقى جوانب أخرى تخص كل عبادة بذاتها كما لا تخلو العبادات من أثر اجتماعى يعود على مجموع الأفراد، لكنى أكتفى بما ذكرت إيثارًا للاختصار، ولأن ما تثمره العبادات فى سلوك الأفراد ينعكس بالضرورة على مجموعهم، فتستقيم أمورهم، وينضبط سلوكهم.

* * *

(١) الإيمان والحياة (ص١٠٣) دكتور/ يوسف القرضاوى ـ طبعة سابعة سنة ١٩٨٠م ـ مكتبة وهبة.
(٢) أخرجه البخارى (جـ١، ص١٥٠) كتاب الأذان ـ باب التشهد فى الآخرة، وأخرجه مسلم (جـ١، ص٣٠١) كتاب الصلاة ـ باب التشهد فى الصلاة.

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

المبحث الثالث

الشرائع والأحكام

(١) حاجة المجتمعات إلى الشرائع والأحكام:

يشير علماء الاجتماع ـ وعلى رأسهم ابن خلدون فى مقدمته[١] ـ إلى أن الاجتماع الإنسانى ضرورة، فلا غنى للمرء عن وجوده وسط مجتمع، يفيدهم ويستفيد منهم، وهو ما يعنى وصف الحكماء له بأنه مدنى بطبعه.

وإذا كان اجتماع المرء مع غيره ضرورة فإنه لا بد أن تنشأ بين مجموع هؤلاء الأفراد معاملات وعلاقات، وأحيانًا خصومات. ولو تُرِك الأمر هكذا دون قواعد تضبط هذه العلاقات، وتقضى على أسباب الخصومات والمنازعات لتحول المجتمع إلى غابة، يأكل فيها القوى الضعيف، وتسود بين الجميع شريعة الغاب.

ومن ثمَّ كانت الشرائع والأحكام ضرورة لا يستغنى عنها مجتمع فى القديم أو فى الحديث.

وتدل آيات القرآن الكريم على أن الشرائع الإلهية كانت دائمة التواجد مع الإنسان حيث وُجِد، ويُبعث بها الأنبياء مع الدعوة إلى التوحيد، لتصلح علاقة الإنسان مع ربه، والإنسان مع بنى جنسه.

يقول رب العزة: ﴿... لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا...﴾ [المائدة: ٤٨].

وفى الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه ﷺ قال: «الأنبياء إخوة لعلات[٢] أمهاتهم شتى ودينهم واحد»[٣].

---

(١) انظر (مقدمة ابن خلدون) ص٤١ ـ الباب الأول من الكتاب الأول فى العمران البشرى على الجملة.

(٢) إخوة لعلات: قال فى النهاية (جـ١، ص٢٩١) مادة: علل: «أولاد العلات: الذين أمهاتهم مختلفة وأبوهم واحد، أراد أن إيمانهم واحد، وشرائعهم مختلفة».

(٣) أخرجه البخارى (جـ٢، ص٢٥٥) كتاب أحاديث الأنبياء ـ باب (واذكر فى الكتاب مريم)، وأخرجه مسلم (جـ٤، ص١٨٣٧) كتاب الفضائل ـ باب فضائل عيسى عليه السلام.

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

(٢) صورة الشرائع والأحكام عند ظهور الإسلام:

ذكرنا فى النقطة السابقة أنه لا غنى لأى مجتمع عن تشريع يضبط العلاقات القائمة بين أفراده، سواء كان مصدره الوحى الإلهى، أو الأعراف والتقاليد، أو من وضع هيئة عليا فوضها المجتمع فى شأن إصدار القوانين.

وعند ظهور الإسلام كان العرب يتحاكمون إلى مجموعة من الأعراف والتقاليد توارثتها الأجيال، وكان مرجعهم فيها شيخ القبيلة أو الكاهن[1].

ومن بين ما نُقِل إلينا من هذه التقاليد صور النكاح التى كانت سائدة عندهم وما يتعلق بها من أحكام.

أخرج البخارى فى صحيحه عن أم المؤمنين عائشة رضى الله تعالى عنها قالت: «إن النكاح فى الجاهلية كان على أربعة أنحاء، فنكاح منها نكاح الناس اليوم، يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته فيصدقها ثم ينكحها، ونكاح آخر كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها: أرسلى إلى فلان فاستبضعى منه، ويعتزلها زوجها ولا يمسها أبداً حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذى تستبضع منه، فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب، وإنما يفعل ذلك رغبة نجابة الولد، فكان نكاح الاستبضاع، ونكاح آخر: يجتمع الرهط ما دون العشرة فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها، فإذا حملت ووضعت ومرَّ عليها ليالٍ بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم، فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع، حتى يجتمعوا عندها تقول لهم: قد عرفتم الذى كان من أمركم، وقد ولدت، فهو ابنك يا فلان، تسمى من أحبت باسمه فيلحق به ولدها، لا يستطيع أن يمتنع منه الرجل، والنكاح الرابع: يجتمع الناس الكثير فيدخلون على المرأة لا تمتنع ممن جاءها، وهن البغايا، كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علمًا، فمن أرادهن دخل عليهن، فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها، جمعوا لها ودعوا لهم القافة، ثم ألحقوا ولدها بالذى يرون، فالتاط به ودعى ابنه لا يمتنع من ذلك، فلما بعث محمد ﷺ بالحق هدم نكاح

(١) انظر (المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية) ص٢٥ ـ دكتور/ عبد الكريم زيدان ـ نشر دار عمر بن الخطاب بالإسكندرية بدون تاريخ.

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

الجاهلية كله إلا نكاح الناس اليوم»[١].

وعُرف من الأنكحة الفاسدة أيضًا نكاح الشغار، وقد أبطله كذلك رسول الله ﷺ، فعن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ نهى عن الشغار، والشغار أن يزوج الرجل ابنته، على أن يزوجه الآخر ابنته، ليس بينهما صداق[٢].

وعُرف عنهم الجمع بين الأختين فى الزواج، كما كان الابن يرث أباه حتى فى نسائه، فيتزوج امرأة أبيه بعد وفاته، وقد أبطل الإسلام ذلك، وجاء القرآن الكريم بتحريمه، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [النساء:٢٢]. وفى سياق الحديث عن المحرمات قال سبحانه: ﴿وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ...﴾ [النساء:٢٣].

وكان العرب يعددون الزوجات بلا حد، فأقر الإسلام المبدأ وقيده بأربع زوجات شريطة العدل بينهن.

ومما يدل على شيوع هذا التعدد عندهم ما جاء فى الحديث عن ابن عمر رضى الله عنهما أن غيلان بن سلمة الثقفى أسلم وله عشر نسوة فى الجاهلية، فأسلمن معه، فأمره النبى ﷺ أن يتخير أربعًا منهن[٣].

وقال وهب الأسدى: أسلمت وعندى ثمانى نسوة، فذكرت ذلك للنبى ﷺ فقال النبى ﷺ: «اختر منهن أربعًا»[٤].

وكانوا يأخذون بمبدأ التبنى، ويحرِّمون زوجة المتبنى كالابن الحقيقى، فألغى الإسلام التبنى، ولم يجعله مانعًا من الزواج، فقال تعالى فى سياق الحديث عن

(١) أخرجه البخارى (جـ٣، ص٢٤٨) كتاب النكاح ـ باب من قال: لا نكاح إلا بولى.
(٢) أخرجه البخارى (جـ٣، ص٢٤٥) كتاب النكاح ـ باب الشغار.
(٣) أخرجه الترمذى (جـ٣، ص٤٢٦) كتاب النكاح، باب ما جاء فى الرجل يسلم وعنده عشر نسوة.
(٤) أخرجه أبو داود (جـ١، ص٥٦٣) كتاب الطلاق، باب من أسلم وعنده نساء أكثر من أربع أو أختان.

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

المحرمات من النساء: ﴿ ... وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ ... ﴾ [النساء: ٢٣].

كما عرف العرب الطلاق، ولكنهم أطلقوا عدد مراته بلا تحديد وعرفوا الظهار وكان عندهم بمنزلة الطلاق، وكانت المرأة تعتد عندهم من طلاق أو وفاة.

كما نقلت عنهم أحكام تتعلق بالوصية والميراث والبيوع والقصاص والديات، وقد تدخل الإسلام فى كل ذلك فأقر بعضًا من هذه الأحكام وعدَّل بعضها، وألغى البعض الآخر[1].

والخلاصة أن الجزيرة العربية ـ ومثلها المجتمعات ـ لم تكن خالية من قوانين تنظم الحياة بها، لكن الضعف البشرى انعكس على هذه القوانين، فشاع فى بعضها الظلم، وفى بعضها التحيز والهوى، وفى بعضها القصور... إلخ.

(٣) عناية الإسلام بأمر الشريعة وأهم الخصائص المميزة لها:

فى الوقت الذى عُنيت فيه دعوة الإسلام بالعقيدة والعبادة لإيجاد أفراد صالحين فى أنفسهم ومصلحين لغيرهم، قدمت العديد من المبادئ لتنظيم المجتمع، وتصحيح مسيرته.

وقد ربط الله تعالى بين سلامة العقيدة وصحة الإيمان وتنفيذ ما دعا إليه من أحكام، فكثيرًا ما يفتتح دعوته إلى حكم من أحكامه بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، وقد يأتى مذيلاً بقوله ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، وقد يأتى الأمر واقعًا بين النداء والتذييل المذكورين للتأكيد على الترابط المشار إليه، وذلك كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٧٨].

فى الوقت ذاته نفى الله الإيمان عمن لم يحتكم إلى شريعته، ويذعن وينقاد لحكمه، فقال عز من قائل: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

وحذر سبحانه وتعالى من التخلى عن شرعه أيًا كان مقدار هذا التخلى،

(١) انظر (المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية) دكتور عبد الكريم زيدان (ص٢٥: ص٣٧).

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

ووصف ما دون حكم الله وشرعه بالجاهلية، فقال: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٤٩، ٥٠].

وتدل آيات القرآن الكريم فى كثير من مواضعها على أن هذه الأحكام «حدود الله» التى لا يجوز لأحد أن يتعداها.

وعلى سبيل المثال لا الحصر، نقرأ قوله تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

فهذه آية واحدة من كتاب الله تتحدث عن حكم من أحكام الله وهو الطلاق فتكرر لفظ (حدود الله) أربع مرات.

وفى آيات المواريث بسورة النساء، وردت فى ثلاث آيات متتالية هذه الجمل: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ﴾، ﴿فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ﴾، ﴿وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ﴾، ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ [النساء: ١١ ـ ١٣].

وأمثال هذا فى القرآن الكريم كثير.

إن حق التشريع ـ تحليلاً وتحريمًا، حظرًا أو إباحة ـ لا يملكه إلا الله وحده، ومن أعطى لنفسه هذا الحق فقد جعل من نفسه إلهًا مع الله كما قال ربنا: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ...﴾ [الشورى: ٢١].

ونعى القرآن الكريم على أهل الكتاب شركهم وكفرهم بربهم، لأنهم أعطوا للأحبار والرهبان حق التشريع، فأحلوا لهم الحرام وبالعكس فسمعوا لهم وأطاعوا، وفى هذا يقول ربنا: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ...﴾ [التوبة: ٣١].

وقد جاء فى تفسير هذه الآية أن عدىَّ بن حاتم سمع رسول الله ﷺ وهو

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

يقرؤها فقال: «إنهم لم يعبدوهم» فرد عليه النبى ﷺ قائلاً: «بلى، إنهم حرموا عليهم الحلال، وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم، فذلك عبادتهم إياهم»[١].

وأما الخصائص التى تميز شريعة الإسلام عما سواها ففيما يلى بيان لأهمها:

لقد احتوت الشريعة الإسلامية على أحكام تتناول ما يعترى الإنسان فى جميع حالاته، فى خاصة نفسه، أو فيما بين الإنسان وذوى قرابته من زوجة وأبناء وأرحام، وبين الناس وبعضهم، حكامًا ومحكومين، فى حالات السلم والحرب، وبين المسلمين ومخالفيهم فى العقيدة داخل المجتمع المسلم أو خارجه، فلا توجد ناحية من النواحى إلا ودخل فيها التشريع الإسلامى، ولا أدل على ذلك من دخول الشريعة الإسلامية مع الإنسان فى حجرة نومه لتنظم العلاقة بينه وبين زوجته.

وصدق الله إذ يقول: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ...﴾ [النحل:٨٩].

وقد لفتت هذه الشمولية نظر المسلمين وغيرهم على السواء، فعبروا عنها، ونطقت ألسنتهم بها.

يقول سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه: «لو ضاع منى عقال بعير لوجدته فى القرآن الكريم».

وعن عبد الرحمن بن يزيد رضى الله عنه عن سلمان الفارسى رضى الله عنه قال: قال لنا المشركون: إنى[٢] أرى صاحبكم يعلمكم حتى يعلمكم الخراءة[٣]، فقال: أجل، إنه نهانا أن يستنجى أحدنا بيمينه، أو يستقبل القبلة، ونهى عن الرَّوْث[٤]، والعظام، وقال: لا يستنج أحدكم بدون ثلاثة أحجار»[٥].

---

(١) تفسير ابن كثير (جـ٢، ص٣٤٨) طبعة عيسى الحلبى.

(٢) هكذا فى رواية مسلم (إنى)، وجاء فى غير هذه الرواية: قيل له، وفى روايات أخرى: قال له بعض المشركين وهم يستهزئون به: إنى أرى صاحبكم... إلخ.

(٣) الخراءة: قال فى النهاية (جـ٢، ص١٧) مادة: خرأ: الخراءة بالكسر والمد التخلى والقعود للحاجة.

(٤) الروث: براز الحيوان.

(٥) أخرجه مسلم (جـ١، ص٢٢٤) كتاب الطهارة ـ باب الاستطابة، وأخرجه أبو داود (جـ١،

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

وقد واجهت الشريعة الإسلامية ظروفًا مختلفة وأنظمة متباينة، فلم تعجز عن إيجاد الحلول الملائمة لكل المشكلات فى كافة المجتمعات.

جاء فى كتاب «شريعة الإسلام صالحة للتطبيق فى كل زمان ومكان»، ما نصه: «الفقه الإسلامى بجميع أحكامه قد عاش قرونًا متطاولة، الأمر الذى لم يظفر به ولا بما يقرب منه أى تشريع فى العالم... الفقه الإسلامى له أربعة عشر قرنًا، ولقد طوَّف فى الآفاق شرقًا وغربًا، وشمالاً وجنوبًا، ونزل السهول والوديان، والجبال والصحارى، ولاقى مختلف العادات والتقاليد، وتقلب فى جميع البيئات، وعاصر الرخاء والشدة، والسيادة والاستعباد، والحضارة والتخلف، وواجه الأحداث فى جميع هذه الأطوار، فكانت له ثروة فقهية ضخمة لا مثيل لها، وفيها يجد كل بلد أيسر الحلول لمشاكله[1].

وقد حكمت الشريعة الإسلامية فى أزهى العصور، فما قصرت عن الحاجة، ولا قعدت عن الوفاء بأى مطلب، ولا تخلفت بأهلها فى أى حين».

ومما سبق يتضح لنا أن شريعة الإسلام تتصف بميزتين أساسيتين، وهما:

(١) الشمول والاستيعاب لكل الأحداث فى جميع الأوقات.

(٢) صلاحيتها للتطبيق فى كل زمان ومكان.

ويضاف إلى هذا خاصية ثالثة تجعل لشريعة الإسلام تميزًا عما سواها من الشرائع، وهى أنها شريعة سهلة ميسرة. فالله تعالى يقول عقب حديثه عن الصيام: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ...﴾ [البقرة: ١٨٥].

ويقول فى ثنايا حديثه عن الوضوء والتيمم: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ...﴾ [المائدة: ٦].

= ص١٠) كتاب الطهارة ـ باب كراهية استقبال القبلة عند قضاء الحاجة، وأخرجه الترمذى (جـ١، ص٢٤) كتاب الطهارة ـ باب الاستنجاء بالحجارة، وكذا أخرجه النسائى وابن ماجه فى كتاب الطهارة.

(١) المرجع المذكور ص١٧ د/ يوسف القرضاوى طبعة خامسة سنة ١٩٩٧م ـ مكتبة وهبة.

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

وفى الحديث: «بعثت بالحنيفية السمحة»[١].

وقال تعالى فى وصفه ﷺ فى الكتب السابقة وفى القرآن الكريم: ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ...﴾ [الاعراف: ١٥٧].

وحين حاول بعض أصحاب النبى ﷺ أن يشقُّوا على أنفسهم، ظانين أن هذا من شأنه أن يزيدهم قربًا من الله تعالى، ردّهم النبى ﷺ إلى جادة الطريق، وحال فيما بينهم وبين ما أرادوا.

والأمثلة على ذلك كثيرة، ونختار منها ما يلى:

(أ) عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: «جاء رهط[٢] إلى بيوت أزواج النبى ﷺ يسألون عن عبادة النبى ﷺ؟ فلما أخبروا كأنهم تقالُّوها[٣]، فقالوا: وأين نحن من النبى ﷺ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فقال أحدهم: أما أنا فإنى أصلى الليل أبدًا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا. فجاء رسول الله ﷺ إليهم، فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكنى أصوم وأُفطِر، وأصلى وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتى فليس منى»[٤].

(ب) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: بينا النبى ﷺ يخطب إذا هو برجل قائم، فسأل عنه، فقالوا: أبو إسرائيل نذر أن يقوم ولا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم، فقال النبى ﷺ: «مروه فليتكلم، وليستظل، وليقعد، وليتم صومه»[٥].

---

(١) أخرجه أحمد (جـ٥، ص٢٦٦) وأخرجه البخارى بلفظ «أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة» (جـ١، ص١٦) كتاب الإيمان.

(٢) الرهط: العدد من ثلاثة إلى عشرة، وهو اسم جمع لا واحد له من لفظه.

(٣) تقالوها: عدوها قليلة.

(٤) أخرجه البخارى (ج٣، ص٢٧٣) كتاب النكاح ـ باب الترغيب فى النكاح ـ وأخرجه مسلم بنحوه (جـ٢، ص١٠٢٠) باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه... إلخ.

(٥) أخرجه البخارى (جـ٤، ص١٥٩) كتاب الأيمان ـ باب النذر فيما لا يملك وفى معصية.

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

وفى سبيل التطبيق العملى لليسر ورفع الحرج رأينا الإسلام ـ حين يكون حكم العزيمة شاقًا ـ يشرِّع الرخص، كما يحدث مع أصحاب الأعذار كالمرضى والمسافرين فى الطهارة والصلاة والصيام وغير ذلك، وكذلك اعتبر الإسلام الإكراه والخطأ والنسيان والجهل من الأمور التى يعذر أصحابها.

ولقد أقر بصلاحية هذه الشريعة وتميزها عما سواها القاصى والدانى، من المسلمين وغير المسلمين، على مستوى الأفراد والمؤتمرات الدولية[١]، وقد أخذت الأمم المتحدة بتوصيات تلك المؤتمرات، فجعلت الشريعة الإسلامية مصدراً من مصادر القانون الدولى، رغم أن القوانين الأمريكية والروسية لا تعتبر أى منهما مصدراً من مصادر القانون الدولى[٢].

وهذا شىء ينبغى أن يفخر به المسلمون، ويزدادوا تمسكًا بشريعتهم، لتحقيق النجاح والفلاح فى الدنيا والآخرة.

(٤) أثر التمسك بشريعة الإسلام على الأفراد والمجتمعات:

عند الحديث على أثر التمسك بشريعة الإسلام يحسن بنا أن ننظر إلى كل زاوية من زواياها، ونلقى ضوءًا على الأثر المترتب على هذه الزاوية بعينها.

(أ) فمن زاوية المشرِّع نجد أنه الله تبارك وتعالى الذى أحسن كل شىء خلقه، وأتقن كل شىء صنعه، وهو سبحانه الموصوف بكل كمال، والمنزه عن كل نقص.

وينعكس هذا على نفس الشرع فنراه كاملاً لا يعتريه نقص، ولا يبدو عليه التناقض والاضطراب الذى تقع فيه القوانين الوضعية مما يلجئ أصحابها إلى تغييرها فى كل يوم.

كما تخلو الشريعة من التحيز لفئة أو طبقة أو نظام، لأن واضعها هو الله تبارك وتعالى المنزه عن الأهواء والنزعات، والذى لا يفرق بين جنس وجنس، أو لون وآخر.

---

(١) راجع بعضًا مما قيل فى هذا الشأن بكتاب (شريعة الإسلام صالحة للتطبيق فى كل زمان ومكان) (ص٦٧، ص٧١) د. يوسف القرضاوى.

(٢) انظر (الإيمان) للشيخ عبد المجيد الزندانى وآخرون ـ ص١٢٣ ـ دار القلم ـ بيروت بدون تاريخ.

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

(ب) ومن زاوية المنتفعين بها نراهم يشعرون بالاحترام لهذه الشريعة التى هى من وضع خالقهم، ويتعبدون لله تعالى ويرجون الثواب فى القيام بتنفيذ مبادئها، وإحياء تعاليمها فإن الجزاء على تنفيذ شرع الله لا يقتصر على الدنيا كما أن المنتفعين بالشريعة يتحررون من عبودية البشر لبعضهم، ويصبح الجميع سواسية أمام رب واحد، لا ميزة لأحدهم على غيره لأجل جنس أو لون أو ثروة أو لغة أو غير ذلك.

(جـ) ومن زاوية الشريعة نفسها نراها أمرًا واقعًا، لا يتحايل الناس لأجل التهرُّب منها، كما هو الشأن فى القوانين الوضعية، والتى لا تكتسب أية قداسة فى نفوس المتعاملين معها.

ولعل أبرز الأمثلة على ذلك الاستجابة والانقياد من جميع الصحابة للامتناع عن شرب الخمر حين نزل الأمر من الله تعالى بتحريمها، حتى امتلأت أزقَّة المدينة بماء الخمر الذى ألقوه فور سماعهم للأمر.

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: «إنى لقائم أسقى أبا طلحة وفلانًا وفلانًا[1] إذ جاء رجل فقال: وهل بلغكم الخبر؟ فقالوا: وما ذاك؟ قال: حرِّمت الخمر، قالوا: أهرق هذه القلال يا أنس، قال: فما سألوا عنها ولا راجعوها بعد خبر الرجل»[2].

فى حين أن الولايات المتحدة الأمريكية حرَّمت الخمر، وطاردتها بكافة الوسائل، وجندت لها إمكانات مادية وبشرية على أعلى مستوى[3]، ولكنها أخفقت فى إحراز النجاح فى هذا المجال، حتى اضطرت أمريكا إلى إباحة الخمر فى بلادها

---

(١) وردت تسمية هذين الصحابيين فى رواية مسلم، وهما: أبو عبيدة بن الجراح، وأبى بن كعب.

(٢) أخرجه البخارى (جـ٣، ص١٢٥) كتاب التفسير ـ باب سورة المائدة، وأخرجه مسلم بنحوه (جـ٣، ص١٥٧٢) كتاب الأشربة ـ باب تحريم الخمر.

(٣) ذكر الشيخ أبو الحسن الندوى فى كتابه (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟) (هامش ص٩١) أرقامًا مذهلة حول ما أنفقه الأمريكان لأجل النجاح فى القضاء على الخمر، لكنهم فشلوا، فليرجع إليه من أراد المزيد.

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

مطلقًا وبلا حدود[١].

وثمة أمثلة كثيرة على هذه النقطة وغيرها، بما يشهد لشريعة الإسلام بأنها سبيل الخير، وطريق السعادة فى الدنيا والآخرة، كما قال رب العزة: ﴿فمن اتَّبع هُداى فلا يضلُّ ولا يشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣].

قال ابن عباس فى تفسير الآية: «لا يضل فى الدنيا، ولا يشقى فى الآخرة»[٢].

فيا ليت قومى يعلمون.

* * *

(١) انظر فى تفصيل أثر الالتزام بالشريعة كتاب (الخصائص العامة للإسلام) دكتور/ يوسف القرضاوى (ص٤٦ ـ ص٥٢) وقد لخصنا ما جاء هناك مع تصرف كثير.

(٢) تفسير ابن كثير سورة طه

المبحث الرابع

القيم والأخلاق

(١) حاجة الإنسان إلى الأخلاق:

فى المبحث السابق أشرنا إلى حاجة المجتمعات إلى الشرائع والأحكام لتنظم علاقة أفراده، وتقضى على أسباب الخصومات والمنازعات التى تحدث نتيجة الاحتكاك والتعامل.

لكن الإنسان ليس كائنًا اجتماعيًا فقط، بل إنه فى كثير من تصرفاته يميل إلى الانفرادية، ومن هنا لزم أن يكون له من القواعد والضوابط ما ينظم له هذا الجانب، ويحول دون غلبة الشر عليه، ولا يكون ذلك إلا بالخُلُق.

يقول الفيلسوف البريطانى برتراندرسل: «ليس الإنسان اجتماعيًا تمامًا مثل النمل والنحل، ولا هو انفرادى تمامًا مثل الأسود والنمور، إنه حيوان شبه اجتماعى، وبعض نزعاته ورغباته اجتماعى، وبعضها انفرادى، ويبدو الجانب الاجتماعى فى طبيعته من أن الحبس الانفرادى يعتبر عقوبة بالغة الشدة، ويبدو الجانب الآخر فى حبه للاستقلال بأموره الخاصة، وعدم استعداده للتحدث فيها إلى الغرباء. ولأننا لسنا اجتماعيين تمامًا فنحن فى حاجة إلى أخلاق، لتوحى لنا بالأهداف، وإلى قواعد أخلاقية لتفرض علينا قواعد التصرفات»[١].

وثمة فرق آخر وهو أن الشرائع والأحكام تتناول إصلاح الإنسان من خارجه، بينما الأخلاق تبنيه من داخله، وتفرض عليه رقابة من ذاته ونفسه.

يقول الإمام أبو حامد الغزالى: «الخُلُق هو صورة الباطن، كما أن الخَلْق هو صورة الظاهر»[٢].

---

(١) الإيمان والحياة (ص١٧٢) د/ يوسف القرضاوى ـ بتصرف يسير.

(٢) إحياء علوم الدين (جـ٨، ص١٤٣٨) طبعة دار الشعب.

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

وعليه فلا غنى للإنسان عن الأخلاق، وأهميتها تبدو فى أنها المحرك لكافة الأعمال الظاهرة، ومناط التغيير فى الإنسان ـ إصلاحًا أو اعوجاجًا ـ مرهون بها، وصدق الله إذ يقول: ﴿... إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ...﴾ [الرعد: ١١].

(٢) صورة الأخلاق عند ظهور الإسلام:

بُعِثَ النبى ﷺ والأخلاق فى العالم كله فى الدرك الأسفل فى جوانب شتى:

(أ) ففى البيئة العربية شاعت رذائل ومنكرات عديدة، نطقت بها ألسنة المسلمين الذين تفضل الله عليهم بالإسلام، فأخرجهم به من الظلمات إلى النور، وهى أصدق وأبلغ ما نسوقه فى هذا المجال.

يقول الصحابى الجليل جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه فى كلامه الذى قاله بين يدى النجاشى ملك الحبشة: «أيها الملك كنا قومًا أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتى الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسىء الجوار، ويأكل القوى منا الضعيف. فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات... إلخ»[1].

ويقول يزدجرد كسرى فارس عند لقائه بوفد المسلمين قبل معركة القادسية: «إنى لا أعلم فى الأرض أمة كانت أشقى ولا أقل عددًا ولا أسوأ ذات بين منكم، قد كنا نوكل بكم قرى الضواحى ليكفوناكم، لا تغزوكم فارس ولا تطمعون أن تقوموا لهم، فإن كان عددكم كثيرًا فلا يغرنكم منا، وإن كان الجهد دعاكم فرضنا لكم قوتًا إلى خصبكم وأكرمنا وجوهكم وكسوناكم، وملكنا عليكم ملكًا يرفق بكم».

(١) سيرة ابن هشام (جـ١، ص٣٢٧).

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

فرد عليه الصحابى الجليل المغيرة بن شعبة رضى الله عنه، فكان فيما قال: «... فأما ما ذكرت من سوء الحال فما كان أسوأ حالاً منا، وأما جوعنا فلم يكن يشبه الجوع، كنا نأكل الخنافس والجعلان والعقارب والحيات، ونرى ذلك طعامنا، وأما المنازل فإنما هى ظهر الأرض، ولا نلبس إلا ما غزلنا من أوبار الإبل وأشعار الغنم، ديننا أن يقتل بعضنا بعضًا، وأن يبغى بعضنا على بعض، وإن كان أحدنا ليدفن ابنته وهى حية كراهية أن تأكل من طعامه، وكانت حالنا قبل اليوم على ما ذكرت لك، فبعث الله إلينا رجلاً معروفًا، نعرف نسبه ونعرف وجهه ومولده... إلخ»[1].

وبمثل ما قال الصحابة قال التابعون أيضًا، ومنهم المفسر التابعى الجليل قتادة فيما أورده الإمام الطبرى فى تفسيره يقول رضى الله عنه: «كان هذا الحى من العرب أذل الناس ذلاً، وأشقاه عيشًا، وأبينه ضلالة، وأعراه جلودًا، وأجوعه بطونًا، مكعومين على رأس حجر بين الأسدين فارس والروم، لا والله ما فى بلادهم من شىء يحسدون عليه، من عاش منهم عاش شقيًا، ومن مات رُدِّى إلى النار، يؤكلون ولا يأكلون، والله ما نعلم قبيلاً يومئذ من حاضر الأرض كانوا فيها أصغر حظًا، وأرق فيها شأنًا منهم، حتى جاء الله عز وجل بالإسلام...»[2].

وقد أشار القرآن الكريم إلى شىء مما ورد فى الكلام السابق ذكره وهو موضوع وأد البنات أحياء، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٨، ٩].

كما جاء فى السنة ما يشير إلى بعضها الآخر، وهو موضوع انتشار الفواحش، وقد ذكرنا فى المبحث السابق حديث أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها: «إن النكاح فى الجاهلية كان على أربعة أنحاء...».

وفى الشعر الذى هو ديوان العرب أشاروا إلى طرف ثالث، وهو موضوع التقاتل وسفك الدماء الذى كان طبيعة فى دمائهم فلا يكاد ينتهى حتى يبدأ، فقد

(١) البداية والنهاية (جـ٧، ص٤٢) الحافظ ابن كثير.
(٢) تفسير الطبرى (جـ٧، ص٨٧) طبعة دار المعارف.

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

جاء فى ديوان الحماسة قول شاعرهم:

وأحيانًا على بكر أخينا إذا ما لم نجد إلا أخانا

ومن أمثلتهم المشهورة قولهم: «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا» يعنى بغض النظر عن كونه على حق أم على باطل، لكن الإسلام صحح هذا الفهم، وقال: انصره ظالمًا بأن تمنعه عن الظلم.

ويكفينا فى الدلالة على مدى الفساد والاضطراب الذى ساد هذا المجتمع الجاهلى وصف الله لأهله بأنهم كانوا فى ضلال مبين، وبأنهم كانوا أعداء فألف الله بين قلوبهم بالإسلام، وكانوا على شفا حفرة من النار فأنقذهم الله منها بالإيمان.

ولا يعنى هذا ـ بالضرورة ـ أن المجتمع العربى كان خلواً من أى فضيلة، فلا شك أن ثمة أخلاقًا كريمة كالشجاعة، والصبر على المكاره، والرضا باليسير، والكرم... إلخ كانت موجودة فيهم، وقد نمَّى فيهم الإسلام هذه الأخلاق، ووجهها إلى ما فيه الخير لهم ولدينهم، لكن الصبغة الغالبة على أخلاقهم هى الاعوجاج كما اتضح لنا من خلال ما ذكرناه من أدلة.

فإذا تركنا البيئة العربية ويممنا شطرنا نحو الدولة الرومانية البيزنطية فسنجد الفساد قد ضرب بأطنابه فى كل مكان، وعمت الفوضى فى جميع الاتجاهات، ما بين فساد سياسى، وظلم اجتماعى، وانحلال أخلاقى.

يقول جيبون وهو يصف الدولة الرومانية عند ظهور الإسلام: «وفى آخر القرن السادس وصلت الدولة فى ترديها وهبوطها إلى آخر نقطة، وكان مثلها كمثل دوحة عظيمة كانت أمم العالم فى حين من الأحيان تستظل بظلها الوارف، ولم يبق منها إلا الجذع الذى لا يزداد كل يوم إلا ذبولاً»[1].

ولم تكن الدولة الفارسية التى كانت تشاطر الرومان حكم العالم وقتئذ أحسن حالاً، فقد قيل فى شأنها (إنها كانت الحقل القديم لنشاط كبار الهدامين الذين عرفهم العالم وكان أساس الأخلاق متزعزعًا مضطربًا منذ عهد عريق فى القدم،

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟ (ص٤١) أبو الحسن الندوى.

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

ولم تزل المحرمات النسبية التى تواضعت على حرمتها ومقتها طبائع أهل الأقاليم المعتدلة موضع خلاف ونقاش، حتى إن يزدجرد الثانى الذى حكم فى وسط القرن الخامس الميلادى تزوج بنته ثم قتلها، وأن بهرام جوبين الذى تملك فى القرن السادس كان متزوجًا بأخته»[١].

يقول الشاعر أحمد شوقى فى وصف الحالة التى كان عليها الناس ساعة ظهور الإسلام:

أتيت والنـاس فوضى لا تلم بهم ... إلا على صنم قد هام فى صنم
والأرض مملـوءة جورًا مسخرة ... لكل طاغيـة فى الخلق محتكم
فعاهـل الروم يطغى فى رعيته ... وعاهل الفرس فى كبر أصم عمى
والخلق يفتك أقواهم بأضعفهم ... كالليث بالبهم، أو كالحوت بالبلم[٢]

ويصف آخر قيادة الفرس والروم للعالم آنذاك فيقول: «كبهيمة عمياء، قاد زمامها أعمى، على عوج الطريق الأعوج».

وإذا كان هذا حال الدولتين العظميين وقتها، فماذا يتوقع أن تكون عليه الأوضاع فى بقية البقاع؟ لقد ظهر الفساد فى البر والبحر، وغابت عن هذا العالم القيادة الرشيدة التى تأخذ بيده إلى بر الأمان.

يقول الأستاذ أبو الحسن الندوى: «وبالجملة لم تكن على ظهر الأرض أمة صالحة المزاج، ولا مجتمع قائم على أساس الأخلاق والفضيلة، ولا حكومة مؤسسة على أساس العدل والرحمة، ولا دين صحيح مأثور عن الأنبياء»[٣].

(٣) عناية الإسلام بأمر الأخلاق، وأهم الخصائص المميزة لها:

تحتل الأخلاق فى الإسلام مكانة سامقة، وتشغل من تعاليمه حيزاً كبيراً.

ونلاحظ اهتمام الإسلام وعنايته بأمر الأخلاق من خلال النقاط التالية:

(١) نفس المرجع (ص٤٧).
(٢) البهم: صغار الحيوانات، والبلم: صغار السمك.
(٣) نفس المرجع (ص٧٢).

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

(أ) تعليل الرسالة وتلخيص هدفها فى تقويم الأخلاق والدعوة إلى مكارمها ومحاسنها، حيث يقول النبى ﷺ: «إنما بُعِثْت لأتمم صالح الأخلاق»[١].

(ب) الدلالة على أن حسن الأخلاق يقع فى القمة من الأعمال الصالحات كلها، وكأنها ليست إلا الخلق فقط، ففى الحديث «البر حسن الخلق»[٢].

ويستتبع ذلك ـ بالتالى ـ أن يكون أصحاب الخلق الحسن هم أرفع الناس عند الله قدرًا، وأعلاهم فى جنته منزلة وفى الحديث: «إن من أحبكم إلىَّ، وأقربكم منى مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا»[٣].

(٣) أن التحلى بمكارم الأخلاق دليل على كمال الإيمان، والتخلى عنها نقص فيه، وإخلال بمبادئه.

ففى الحديث: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه...، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»[٤].

وفى الحديث: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قيل: ومن يا رسول الله؟ قال: الذى لا يأمن جاره بوائقه»[٥].

(٤) أن إحدى ثمرات العبادة وغاياتها التحلى بمكارم الأخلاق، والتخلى عن رذائلها، فإذا لم تحقق العبادة هذ الثمرة صارت شكلاً بلا مضمون، وجسدًا بلا روح، وانعدمت فائدتها لصاحبها.

---

(١) أخرجه أحمد فى مسنده (جـ٢، ص٣٨١) وأخرجه مالك فى الموطأ (جـ٢، ص٩٠٤) إلا أنه قال: حسن الأخلاق، وقال ابن عبد البر: هو حديث مدنى صحيح من جودة صحاح عن أبى هريرة وغيره، وكذلك أخرجه البيهقى والحاكم.

(٢) أخرجه مسلم (جـ٤، ص١٩٨٠) كتاب البر والصلة والآداب ـ باب تفسير البر والإثم.

(٣) أخرجه الترمذى وحسنه (جـ٤، ص٣٧٠) كتاب البر والصلة ـ باب ما جاء فى معالى الأخلاق.

(٤) أخرجه البخارى (جـ٤، ص٥٤) كتاب الأدب ـ باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره.

(٥) أخرجه البخارى (جـ٤، ص٥٣) كتاب الأدب ـ باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه.

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

ففى الحديث: «أتدرون ما المفلس؟» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال ﷺ: «إن المفلس من أمتى يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتى وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت قبل أن يقضى ما عليه أُخذ من خطاياهم فطُرحت عليه، ثم طرح فى النار»[1].

(٥) وفى الدلالة ـ كذلك ـ على مكانة الأخلاق وأهميتها فى الإسلام جاء الثناء على رسول الله ﷺ بأنه فى القمة منها، فقال ربنا ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

وكان ﷺ يكثر من الدعاء لربه أن يمنحه ويوفقه لأحسن الأخلاق وأقومها.

وكل هذا إشارات ودلالات على مكانة الأخلاق فى الإسلام، ولا تزال هناك جوانب عديدة تدل على عناية الإسلام بأمر الأخلاق، لكنى أكتفى بما ذكرت، ومن أراد الزيادة فليرجع إلى الكتب التى تخصصت بالحديث عن هذا الموضوع[2].

انطلاقًا من هذه المكانة الرفيعة للأخلاق فى الإسلام رأينا القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة يوليان هذا الموضوع اهتمامًا بالغًا، ويتضح هذا الاهتمام من خلال العديد من آيات القرآن الكريم التى تتحدث عن جوانب الأخلاق، كما أنه لا يخلو كتاب من كتب السنة عن كتاب فى الأدب يتناول مسائل الأخلاق جملة وتفصيلاً.

ومن أهم ما يميز الأخلاق فى الإسلام ما يلى:

(أ) قدَّم الإسلام فى هذا الجانب أخلاقًا شاملة، تستوعب كافة مناحى الحياة، وتغطى جميع الأنشطة الإنسانية.

يقول الدكتور يوسف القرضاوى: «إن الأخلاق فى الإسلام لم تدع جانبًا من

(١) أخرجه مسلم (جـ٤، ص١٨٨٧) كتاب البر والصلة والآداب ـ باب تحريم الظلم، وأخرجه أحمد (جـ٢، ص٣٠٣).

(٢) راجع على سبيل المثال (خلق المسلم) للشيخ/ محمد الغزالى.

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

جوانب الحياة الإنسانية: روحية، أو جسمية، دينية أو دنيوية، عقلية أو عاطفية، فردية أو اجتماعية، إلا رسمت له المنهج الأمثل للسلوك الرفيع. فما فرَّقه الناس فى مجال الأخلاق، باسم الدين وباسم الفلسفة، وباسم العرف أو المجتمع، قد ضمه القانون الأخلاقى فى الإسلام فى تناسق وتكامل وزاد عليه»[١].

لقد قوَّم الإسلام الفرد فى ذاته، وقوَّمه فى محيط أسرته، وقوم العلاقة بين أفراد المجتمع فى محيط الجيران والأصدقاء والمخالطين عامة، سواء كانوا من المسلمين أو من غيرهم، من بنى الإنسان ومن أجناس أخرى كالحيوانات والطيور وغيرها، وقوم العلاقات القائمة بين الدول فى سلمها وحربها، ولم يدع مجالاً من مجالات الحياة أو قطاعًا من قطاعاتها إلا وقد وضع له المبادئ والأخلاق ما يحفظ لكل واحد حقه، ويصون لكل فرد حرمته.

(ب) وهى أخلاق واقعية لا تكليف فيها بما فوق الطاقة، ويتم فيها تقدير الظروف الاستثنائية التى يباح فيها ما لا يباح فى غيرها، كجواز الكذب حالة الحرب تضليلاً للعدو ونحو ذلك[٢].

(ج) وهى أخلاق ربانية، تستمد صلاحيتها وضرورة الالتزام بها من الوحى الإلهى، وليس مصدر الإلزام فيها اللذة أو المنفعة أو العقل أو الضمير، أو العرف أو المجتمع أو التطور أو غير ذلك مما ذهبت إليه الفلسفات الحديثة[٣].

وهذا ما يضفى عليها قداسة، ويرغب الجميع فى الالتزام بها رغبة فى تحصيل الأجر من الله، وإن غابت عنهم أعين الرقباء.

(د) وهى أخلاق وسطية تتعامل مع الإنسان باعتباره كيانًا فيه مادية وروحية، وتوجهه إلى الآخرة والعمل لها دون إهمال للدنيا.

وبهذه النظرة المتوازنة يسلم الإنسان من التناقض، ويحيا حياة كريمة تليق به كإنسان.

---

(١) الخصائص العامة للإسلام (ص١١٠).

(٢) انظر نفس المرجع (ص١٥٨).

(٣) انظر نفس المرجع (٤٢).

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

تقول مريم هاو الصحفية الإنجليزية التى اعتنقت الإسلام: «لقد وجدت فى الدين الإسلامى الإجابات الشافية عن معضلة الروح والمادة، فعلمت أن للجسد حقًا علينا كالروح تمامًا، وأن الحاجات الجسدية هى فى نظر الإسلام غرائز طبيعية تستحق الإشباع، وليست أموراً شريرة مستقذرة، بل لا بد من إشباعها من أجل أن يعيش الإنسان قويًا منتجًا فعالاً، إلا أن الإسلام قد وضع قواعد أساسية لإشباع هذه الحاجات على أسس سليمة، تحقق الرضا للنفس، وتلتزم بأوامر الله... وبذلك يتحقق التوازن الذى لا بد منه لحياة إنسانية كريمة»[1].

(٤) أثر التمسك بالأخلاق الإسلامية على الفرد والمجتمع:

حين توجه الإسلام بتعاليمه إلى الناس أمرهم بالتحلى بمكارم الأخلاق، واطّراح الفاسد منها، وكانت هذه الأوامر فى وقت مبكر، وذلك حين كان المسلمون لا يزالون مستضعفين بمكة.

ومع اتساع دائرة الداخلين فى الإسلام ظهر أثر هذه التعاليم واضحًا على سلوك هؤلاء المؤمنين، ويومًا بعد يوم تغيرت كثير من الصور التى كانت سائدة، وحلت محلها أخلاق وقيم الإسلام.

وفيما يلى نتعرف على بعض هذه الصور، وما حدث لها من تغيير فى ظل تعاليم الإسلام:

(أ) لقد جاء الإسلام والناس يتعاملون فيما بينهم على أساس الطبقية، فطبقة السادة غير طبقة العبيد، وطبقة الحكام غير طبقة المحكومين، وهكذا. وقد عمد الإسلام إلى هذه الطبقية فألغاها، وأعلن أن الناس جميعًا سواسية، لا فضل لأحدهم بسبب لون أو جنس أو عنصر أو لغة أو قومية أو ثروة، وإنما يكون التفاضل عند الله بسبب التقوى دون غير.

يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات:١٣].

(١) قالوا عن الإسلام (٢٥٠) د. عماد الدين خليل.

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

وفى ظل هذه المساواة شاع الحب بدلاً من البغض، والإيثار مكان الأثرة، وانطلقت جميع الفئات تعمل لخدمة الإسلام ودعوته جنبًا إلى جنب، الرجال والنساء، والأحرار والعبيد دون تمييز لأحد منهم على آخر.

(ب) قبل ظهور الإسلام كان الظلم فاشيًا، والأمان منعدمًا، فنادى الإسلام بالعدل وحرم الظلم، وأعلن عن حرمة الدماء والأموال والأعراض، ورغب فى التعاون وإصلاح ذات البين.

وقد شعر الناس ـ مسلمين وغير مسلمين ـ فى ظل تعاليم الإسلام بالأمان والحرية التى افتقدوها، ورأوا بأعينهم ما أخبرهم به نبيهم ﷺ من انتشار الأمن مع انتشار الإسلام فى نحو قوله: «والله ليتمن هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون»[1].

وفى ظل إقرار الإسلام للعدالة طالب الناس بحقوقهم، وهم على يقين من أن حقوقهم مكفولة، ولو كان الخصم من الأمراء أو من غيرهم.

(ج) قبل ظهور الإسلام كانت الحرب سجالاً بين الناس، والمعارك تستعر لأتفه الأسباب، وغابت فى هذا الجو معانى الإخاء والإيثار والود، فجاء الإسلام وأعلن الأخوة شعارًا لدينه، وجعل المؤمنين بالله تعالى جسدًا واحدًا، وبنيانًا يشد بعضه بعضًا، وضرب بيد من حديد على الفرقة ومظاهرها وأسبابها.

وقد أنتجت هذه التعاليم مجتمعًا من المتحابين المتآلفين، الذين يشعر أحدهم بطعم اللقمة فى فم أخيه وهو يطعمها له، وشاعت صور التكافل والتعاون والإيثار، بغض النظر عن الجنس أو اللون أو اللغة أو الثروة... إلخ.

ويطول الكلام حول هذه الآثار المؤيدة بشواهد الواقع، ولكننا نكتفى بما ذكرنا إيثارًا للاختصار، ونحيل من أراد الزيادة إلى كتب المطولات.

(١) أخرجه البخارى (جـ٤، ص٢٠٠) كتاب الإكراه ـ باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر، وأخرجه أبو داود (جـ٢، ص٤٨) كتاب الجهاد ـ باب الأسير يكره على الكفر، وأخرجه أحمد (جـ٥، ص١١١).

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

الفصل الثانى

العوامل التى شكلت تاريخ الإسلام

ويشتمل على المباحث التالية:

(١) تمسك المسلمين بتعاليم الإسلام.

(٢) قيام المسلمين بدعوة غيرهم إلى الإسلام.

(٣) الفتوحات الإسلامية، والجهاد ضد قوى الشر والطغيان.

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

المبحث الأول

تمسك المسلمين بتعاليم الإسلام

١ ـ لا يمكن لفكرة ما من الأفكار أن تقوم فى المجتمع، وتجذب الآخرين إلى الاقتناع بها، والانقياد لمبادئها دون أن يكون لها فى أرض الواقع من يطبقها، ويجذب أنظار الناس إليها.

وقد ابتنى الفلاسفة فى عقولهم تصورات لمدن فاضلة لم تتجاوز عقولهم، لأنها لم تجد لها تطبيقًا فى أرض الواقع، فانتهت من حيث بدأت.

وهذا يؤكد ـ بدوره ـ على دور القدوة والنموذج لنجاح الداعية، ويفسِّر لنا ـ كذلك ـ منهج الله تعالى فى تربية الأمم بمناهج نظرية هى الكتب، وقدوات عملية هم الرسل الحاملون لها، مع العناية باختيار هؤلاء الرسل، وعصمتهم من أى زلل أو انحراف، حتى يصلح أخذ الناس عنهم، واقتداؤهم بهم.

قال تعالى: ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ... ﴾ [الحج: ٧٥].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ... ﴾ [الأنعام: ٩٠].

ولما كانت الأمة المسلمة شريكة لرسولها ﷺ فى حمل أمانة الدعوة وجهنا ربنا تبارك وتعالى إلى ضرورة الاهتمام بالقدوة الحسنة مع الدعوة باللسان.

يقول تعالى: ﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ... ﴾ [الشورى: ١٥].

وقال عز من قائل: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت: ٣٣].

٢ ـ فى ضوء هذه الحقائق كان حرص النبى ﷺ منذ أن انطلق بدعوته فى مكة المكرمة على أن يهيئ للدعوة بيئة صالحة يرى الناس فيها الإسلام واقعًا عمليًا، يحملهم على الاقتناع بصلاحيته لأن يقود ويسود.

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

وحين وجد النبى ﷺ البيئة المكية مصرة على مواقفها المناوئة له ولدعوته، كان يعرض نفسه على القبائل التى تفد إلى مكة فى موسم الحج، فيدعوهم إلى الله، ويطلب منهم حمايته ليبلغ رسالة ربه، وأراد الله أن يكون هذا الخير مدخراً لأهل المدينة من الأوس والخزرج.

يقول ابن إسحاق: «فلما أراد عز وجل إظهار دينه، وإعزاز نبيه ﷺ، وإنجاز موعده له، خرج رسول الله ﷺ فى الموسم الذى لقيه فيه النفر من الأنصار، فعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع فى كل موسم، فبينما هو عند العقبة لقى رهطًا من الخزرج أراد الله بهم خيراً، فقال لهم النبى ﷺ: من أنتم؟ قالوا: نفر من الخزرج. قال: أمن موالى يهود؟ قالوا: نعم. قال: أفلا تجلسون أكلمكم؟ قالوا: بلى، فجلسوا معه فدعاهم إلى الله عز وجل، وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن... فأجابوه فيما دعاهم إليه، بأن صدقوه وقبلوا ما عرض عليهم من الإسلام، وقالوا: إنا قد تركنا قومنا، ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم، فعسى أن يجمعهم الله بك، فسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك، ونعرض عليهم الذى أجبناك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك.

ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ راجعين إلى بلادهم، وقد آمنوا وصدقوا... فلما قدموا المدينة ذكروا لهم رسول الله ﷺ، ودعوهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم، فلم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر من رسول الله ﷺ»[1].

ثم كانت بيعتا العقبة الأولى والثانية، وتلا ذلك هجرة النبى ﷺ وأصحابه إلى المدينة المنورة، وفيها وضعت بذور الدولة المسلمة التى انطلقت منها الدعوة إلى سائر الأرجاء، ولذلك لا نعجب أن يختار المسلمون حدث الهجرة دون سواه ليجعلوه بداية للتأريخ الإسلامى.

٣ ـ وفى هذه البيئة الجديدة بدأ النبى ﷺ بتنظيم أمور المسلمين الداخلية، فأنشأ

(١) سيرة ابن هشام (جـ٢، ص٢٩، ٣٠) بتصرف يسير.

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

المسجد، وآخى بين المهاجرين والأنصار، وعقد معاهدة مع سكان المدينة من اليهود تحدد لكل فئة حقوقها وواجباتها، وأنشأ النبى ﷺ ينظم أحوال المجتمع اقتصاديًا واجتماعيًا وعسكريًا وتربويًا، وأعد من أصحابه رجالاً تجسد الإسلام فى سلوكهم، وشوهدت حقيقة الدين فى أقوالهم وأفعالهم، فكان منهم الخليفة الراشد، وكان منهم القاضى العادل، وكان منهم القائد الفاتح، وكان منهم الداعية الملهم، وكان منهم الفقيه المعلم... إلخ.

٤ ـ ولما كان هؤلاء الرجال قد تجلى فى سلوكهم التمسك بالإسلام قولاً وعملاً أحبتهم الشعوب التى عاصرتهم، وأعربت عن تقديرها لهم، وتفضيلهم على شركائهم فى العقيدة، ومعاونتهم على التخلص منهم، ثم كانت الخطوة التالية هى الانتقال من التقدير النظرى إلى التطبيق العملى، فدخل الناس فى دين الله أفواجًا، وحملت كثير من هذه الشعوب ـ ولا تزال ـ راية الإسلام.

وفيما يلى نسوق شهادتين على مدى تأثير هذا التمسك بالإسلام فى سلوك الأوائل، ومساهمته فى نشر الإسلام، إحداهما من القديم، والأخرى من العصر الحديث.

يقول الإمام مالك بن أنس رضى الله عنه: «بلغنى أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة رضى الله عنهم الذين فتحوا الشام، يقولون: والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا»[١].

وتقول المستشرقة الألمانية الدكتورة زغريد هونكه: «... استطاع العربى بإيمانه العميق أن يكون أبلغ سفير وداعية لديانته، لا بالتبشير وإيفاد البعثات، وإنما بخلقه الكريم وسلوكه الحميد، فكسب بذلك لدينه عددًا وفيرًا، لم تكن أية دعوة ـ مهما بلغ شأوها ـ لتستطيع أن تكسب مثله»[٢].

* * *

(١) تفسير ابن كثير (جـ٤، ص٣١٣) تفسير سورة الفتح.
(٢) قالوا عن الإسلام ص٣٢١ ـ د. عماد الدين خليل.

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

المبحث الثانى

قيام المسلمين بدعوة غيرهم إلى الإسلام

(١) يتميز الإسلام دون سائر الأديان بأنه دين عالمى، وبأنه كلمة الله الأخيرة إلى الناس، فلا نبى بعد رسول الله محمد ﷺ، ولا رسالة بعد الإسلام.

وقد اجتهد رسول الله ﷺ فى أداء ما كلفه به من أمانة، ولم يفارق هذه الدنيا حتى بلغ رسالته على أتم وجه وأكمله، وأدى أمانته، وترك الأمة على طريق واضح لا لبس فيه ولا غموض.

يقول الله تعالى: ﴿... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا...﴾ [المائدة:٣].

وقد نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ فى حجة الوداع، وفارق الدنيا بعدها بقليل[١].

(٢) لأجل هذا نزل القرآن الكريم يؤكد على أن الأمة شريكة لنبيها ﷺ فى تحمُّل عبء الدعوة، فالله تعالى يقول: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي...﴾ [يوسف:١٠٨].

وحث النبى ﷺ كل مسلم أن يقوم بواجبه فى هذا الشأن بحسب استطاعته. فهو ﷺ القائل: «ليبلغ الشاهد الغائب»[٢].

وهو القائل أيضًا: «بلغوا عنى ولو آية»[٣].

(١) بقى النبى ﷺ عقب نزول هذه الآية إحدى وثمانين ليلة، ثم لحق بربه.

(٢) أخرجه البخارى (جـ١، ص٢٣) كتاب العلم - باب قول النبى ﷺ: «رب مبلغ أوعى من سامع»، وأخرجه مسلم (جـ٢، ص٩٨٨) كتاب الحج - باب تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ولقطتها إلا لمنشد على الدوام.

(٣) أخرجه البخارى (جـ٢، ص٢٥٨) كتاب أحاديث الأنبياء - باب ما ذكر عن بنى إسرائيل.

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

(٣) ولم يكن ﷺ يكتفى بتوجيه أصحابه نظريًا إلى القيام بهذا الواجب، فكان يوفد بعض أصحابه إلى الأمصار للدعوة والتعليم، مثلما فعل مع مصعب بن عمير رضى الله عنه حين أوفده إلى المدينة قبل الهجرة ومثلما فعل مع معاذ بن جبل وأبى موسى الأشعرى حين بعثهما إلى اليمن.

وفى مجتمع الصحابة كان يأتيه أفراد فيدخلون فى الإسلام، فيدفعهم إلى أصحابه كى يدربهم على الدعوة إلى الله، وتعليم المسلمين أمور دينهم.

أخرج الإمام أحمد فى مسنده عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يُشْغَلُ، فإذا قدم رجل مهاجر على رسول الله ﷺ دفعه إلى رجل منا يعلمه القرآن»(١).

وإذا قدم عليه وفد علمهم ودعاهم، ثم كلفهم أن يقوموا بتبليغ ما علموه إلى من وراءهم من أهليهم وجيرانهم.

أخرج البخارى فى صحيحه عن مالك بن الحويرث رضى الله عنه قال: أتيت النبى ﷺ فى نفر من قومى، فأقمنا عنده عشرين ليلة، وكان رحيمًا رفيقًا، فلما رأى شوقنا إلى أهالينا قال: «ارجعوا فكونوا فيهم وعلموهم وصلوا، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم، وليؤمكم أكبركم»(٢).

(٤) وإذا كانت القاعدة الأصولية تقول: «ما لا يتحقق الواجب إلا به فهو واجب» فإن كون الأمة شريكة لرسولها ﷺ ـ وجوبًا ـ فى تحمل أمانة هذا الدين وتبليغه للعالمين ـ كما سبق وأن بينا ـ فإن هذا الوجب لا سبيل إلى تحقيقه إلا ببذل الأمة أقصى الجهد فى دعوتها للآخرين، كى تخرجهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.

وهذا ما يجعل للدعوة إلى الله منزلة عظيمة فى هذا الدين لا تدانيها منزلة.

(أ) فالله تبارك وتعالى بين أن الأمة الإسلامية هى خير الأمم، وعلل ذلك

(١) أخرجه أحمد (جـ٥، ص٣٢٤).

(٢) أخرجه البخارى (جـ١، ص١١٧) كتاب الأذان ـ باب من قال ليؤذن فى السفر مؤذن واحد

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

بقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقد ورد أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه حج مرة، فرأى من الناس دعة، فقرأ هذه الآية ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ ثم قال: «من سره أن يكون من هذه الأمة، فليؤد شرط الله فيها»(١).

(ب) وحين أراد النبى ﷺ - وهو الذى أوتى جوامع الكلم - أن يختصر تعريف الإسلام فى كلمات موجزات، كانت الدعوة والدلالة على الخير هى الفائزة بهذا الشرف.

فعن أبى رقية تميم بن أوس الدارى رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «الدين النصيحة» قلنا: لمن؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»(٢).

(ج) وأشار القرآن الكريم إلى أفضلية القيام بالدعوة على ما سواها من الأعمال، فالله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]، وهو استفهام يفيد النفى، أى لا شىء أحسن من هذا.

ولو ذهبنا نستقصى كل ما ورد بشأن الدعوة، وبيان أهميتها، ومنزلتها فى الدين لطال البحث، وخرج بنا عن الموضوع، وذلك لكثرة ما ورد فى هذا الموضوع من آثار(٣)، وكلها تجمع على أهمية هذا الأمر، وضرورته لنشر الإسلام وبسط نوره على العالمين، وأن التهاون فيه نذير بحلول الهلاك.

يقول الإمام أبو حامد الغزالى رحمه الله: «إن الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر من القطب الأعظم فى الدين، وهو المهم الذى ابتعث الله له النبيين

(١) تفسير ابن كثير (ج١، ص٣٩٦).

(٢) أخرجه البخارى (جـ١، ص٢٠) كتاب الإيمان - باب قول النبى ﷺ: الدين النصيحة، وأخرجه مسلم (جـ١، ص٧٤) كتاب الإيمان - باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون... إلخ.

(٣) اقرأ على سبيل المثال فى هذا الموضوع: أصول الدعوة - دكتور عبد الكريم زيدان، وجوب تبليغ الدعوة - عبد الله ناصح علوان.

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

أجمعين، ولو طُوِى بساطه، وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة، واضمحلت الديانة، وعمت الفترة، وفشت الضلالة، وشاعت الجهالة، واستشرى الفساد، واتسع الخرق، وخربت البلاد، وهلك العباد، ولم يُشْعَرْ بالهلاك إلا يوم التناد»[1].

٥ ـ وقد نفخت هذه المبادئ والتعاليم روح الجد والمثابرة فى نفوس أصحاب النبى ﷺ والأجيال التى تلتهم، فانساحوا فى الأرض يبشرون بالإسلام، ويدعون الناس إلى دين الله، مما كان له أكبر الأثر فى كسب أعداد كبيرة لصالح الدعوة، شكلت تاريخ الإسلام، وأسمعت الدنيا بأسرها كلمة التوحيد.

وفى الإشارة إلى أهمية هذا الجانب ـ أعنى جانب الدعوة ـ فى نشر الإسلام، يقول توماس أرنولد فى كتابه (الدعوة إلى الإسلام)[2]: «يرجع انتشار هذا الدين ـ يعنى الإسلام ـ فى تلك الرقعة الفسيحة من الأرض إلى أسباب شتى: اجتماعية وسياسية ودينية، على أن هناك عاملاً من أقوى العوامل الفعالة التى أدت إلى هذه النتيجة العظيمة، تلك هى الأعمال المطردة التى قام بها دعاة المسلمين، إذ وقفوا حياتهم على الدعوة إلى الإسلام، متخذين من هدى الرسول ﷺ مثلاً أعلى، وقدوة صالحة» اهـ.

* * *

(١) إحياء علوم الدين (٢/ ٣٠٦)، نشر المكتبة التجارية الكبرى ـ مصر.
(٢) المرجع المذكور ص٢٥.

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

المبحث الثالث

الفتوحات الإسلامية، والجهاد ضد قوى الشر والطغيان

(١) سبقت الإشارة إلى أن الإسلام دين عالمى لكل البشر، وأنه كلمة الله الأخيرة إلى الناس جميعًا، وقد بذل النبى ﷺ فى سبيل تبليغ هذا الدين قصارى جهده، واحتمل فى سبيل ذلك كثيرًا من الأذى، حتى لحق بربه راضيًا مرضيًا، وقد بلغ رسالته، وأدى أمانته، وتركنا على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك.

وعلى هدى النبى ﷺ سار السلف الصالح من هذه الأمة، فجابوا المشارق والمغارب داعين إلى الله تعالى، حتى انتشر الإسلام فى الآفاق، وعم نور الله على العالمين.

(٢) لكن طريق هذه الدعوة لم يكن مفروشًا بالورد، ولا محفوفًا بالرياحين، فإن دعاة الكفر وأصحاب الأهواء وجدوا فى هذه الدعوة خطرًا عليهم، وعلى المكاسب الدنيوية التى تصل إليهم، فأحبوا بقاء الأوضاع على ما هى عليه، واجتهدوا فى صرف الناس عن الإيمان بهذه الدعوة، والانضواء تحت رايتها، ووجدوا فيمن هم على شاكلتهم من يساعدهم ويؤازرهم، كما قال ربنا: ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ...﴾ [الجاثية:١٩].

(٣) والمتأمل فى كتاب الله تعالى يجد فى كثير من الآيات ما ينبئ عن خبيئة هؤلاء الظالمين حيال دعوة الحق، وهذه نماذج منها:

(أ) يقول الله تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ [هود:١٨، ١٩].

(ب) ويقول رب العزة تبارك وتعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً...﴾ [النساء:٨٩].

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

(ج) ويقول سبحانه: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٢٧].

ويشير القرآن الكريم فى مواضع أخرى إلى أن هؤلاء الكفار وأصحاب الأهواء لن يقتصروا فى هذا المجال على مجرد التمنى، بل إنهم سيسلكون - كذلك - مسالك عملية تطبيقية تتمثل فى رصد الأموال، ورصد الخطط لإعاقة مسيرة الإسلام، والاعتداء أحيانًا بالتعذيب والقتل لمن يرون الانضواء تحت لواء هذه الدعوة، ففى بيان رصدهم الأموال لإيقاف مسيرة الخير، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ...﴾ [الأنفال: ٣٦].

وفى شأن تخطيطهم وكيدهم يقول الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطارق: ١٥، ١٦].

وفى شأن إيذائهم للمسلمين بأيديهم وألسنتهم متى تمكنوا من ذلك يقول رب العزة: ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ [الممتحنة: ٢]. ومعنى يثقفوكم: يتمكنوا منكم.

وفى شأن قتالهم لأهل الطاعة يقول ربنا: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧].

والواقع ملىء بالشواهد والأدلة على هذا كله بدءًا من رسول الله ﷺ الذى حاولوا قتله أكثر من مرة، ومن صحابته الذين أُوذوا وعذبوا حتى مات بعضهم تحت سياط التعذيب، وأخيرًا اضطروا إلى الهجرة تاركين ديارهم وأموالهم، وانتهاء بالممارسات الوحشية لليهود والهنود والصليبيين فى العصر الحديث.

(٤) ولو أن الجو خلا لهذه القوى الشريرة لتفعل ما تشاء، وتطول بإيذائها من تريد، فإن فساد الحياة الإنسانية بأسرها نتيجة لا مفر منها، والتعرض بالإيذاء والتخريب لعقائد الناس وأماكن عبادتهم أمر لا بد منه.

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿... وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ...﴾ [البقرة: ٢٥١].

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

ويقول أيضًا: ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا...﴾ [الحج: ٤٠].

(٥) لأجل هذا أوجب الإسلام على أتباعه أن يهبوا لنصرة عقيدتهم، وأن يدفعوا النفس والنفيس فى سبيل الدفاع عنها، والعمل على تأمين وصول كلمة الله إلى العالمين.

يقول الله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣].

ولأهمية هذا الأمر فى حماية العقيدة الإسلامية، ومقاومة من أراد بالإسلام أو المسلمين شرًا صح عن النبى ﷺ وصف الجهاد بأنه ذروة سنام الإسلام، وذلك لأن الجهاد ـ كما يقول الدكتور محمد نعيم ياسين ـ: «هو القوة الدافعة لهذه الدعوة الربانية نحو تعميم خيرها على البشر، وهو الرصيد المستمر، يجدد نشاطها، ويظهر فاعليتها فى الوجود، ولولاه لضمر أثرها وانكمشت، وأفسحت المجال لغيرها من الدعوات الباطلة وهذا أمر يؤيده واقع وتاريخ أمة الإسلام، فقد كان أثرها فى الأمم، ونشر العدل والرخاء والسعادة، يتناسب دائمًا ـ طردًا ـ مع قوة جهادها وحركتها وبذلها وتضحيتها، والعكس بالعكس، ففى الحديث «إذا تبايعتم بالعينة[١]، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم»[٢] اهـ[٣].

وإلى جانب ذلك وردت الإشادة بالجهاد والمجاهدين فى كتاب الله تعالى، وفى سنة رسوله ﷺ بما يفوق الحصر، فلا تكاد تخلو سورة من سور القرآن ـ خصوصًا المدنى منه ـ من حديث عن الجهاد أو القتال فى سبيل الله، أو بيان منزلة الشهداء

---

(١) بيع العينة: هو أن يقصد الرجل الحصول على المال وحتى يهرب من الربا يجعل بينه وبين صاحب المال سلعة يأخذها بثمن عاجل بزيادة، ويبيعها لغيره بثمن عاجل أقل.

(٢) أخرجه أبو داود (جـ٢، ص٢٦٩) كتاب الإجارة ـ باب فى النهى عن العينة، وأخرجه أحمد بنحوه (جـ٢، ص٨٤).

(٣) الجهاد، ميادينه، وأساليبه ص٧، بتصرف ـ طبع مكتبة القادسية بالإسكندرية ـ بدون تاريخ.

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

عند ربهم، أو الحديث عن الآداب والأحكام التى ترتبط بهذا الموضوع من قريب أو من بعيد.

كما أن السنة النبوية لا يخلو كتاب من كتبها، أو مصنف من مصنفاتها من حديث مستفيض حول الجهاد، تبين فيه فضيلته، وتتناول فيه مسائله وآدابه.

والمكتبة الإسلامية زاخرة بالعديد من المؤلفات حول هذا الموضوع.

ومن الفقهاء من عد الجهاد الركن السادس من أركان الإسلام[١].

ومن مجموع هذه الملاحظات نستخلص أنه لا يوجد نظام دينى أو دنيوى، فى القديم أو فى الحديث أعطى للجهاد هذه المكانة الرفيعة، وبوأه هذه المنزلة السامقة مثلما فعل دين الإسلام.

(٦) ومن أهم ما يميز عقيدة الجهاد فى الإسلام وضوح الهدف، فليس الجهاد فى الإسلام لأجل تحقيق منفعة مادية أو الحصول على مغنم دنيوى، وذلك من حيث الغاية، ومن حيث الوسيلة ينأى الجهاد فى الإسلام عن الاغتصاب والعدوان والتخريب، وسائر الأشكال السائدة فى الحروب التى تقع بأيدى غير المسلمين[٢]،

---

(١) تتنوع صور الجهاد فى الإسلام، وتتعدد ميادينه، ولكل منها أسلوبه، من جهاد للنفس، إلى جهاد للشيطان، وإلى جهاد للكفار، ومن جهاد باللسان إلى جهاد بالسنان، ولهذا اختيرت لفظة الجهاد بدلاً من لفظة الحرب والتى لا تحمل إلا معنى واحدًا، وعلى المسلم أن يأخذ من كل خير بنصيب، وأن يقف على فقه الجهاد حتى لا يُقَدِّم ما يستحق التأخير أو العكس.
ويمكن الاطلاع فى هذا الشأن على كتاب «الجهاد ميادينه وأساليبه» للدكتور/ محمد نعيم ياسين، ففيه ما يشفى الغليل بإذن الله.

(٢) تستهدف الحروب عند غير المسلمين إذلال الشعوب الضعيفة، وسلب خيراتها، وتتجرد من المعانى الإنسانية فى أهدافها ووسائلها على السواء.
ولتنظر فى هذا التقرير الذى كتبه هانسون بلدوى المراسل العسكرى لمجلة ساترداى إيفننج بوست الأمريكية لبيان أسباب بناء القواعد العسكرية الأمريكية فى أنحاء متفرقة من العالم، للوقوف على هذه الحقيقة.
يقول هانسون: (القواعد العسكرية الأمريكية تحقق أهدافًا كثيرة، فهى مهمة لأنها تمثل نقطة الوثوب للهجوم على المناطق الوسطى من روسيا... وهناك فى الوقت نفسه ضرورة اقتصادية تفرض علينا أن نتطلع إلى ما وراء حدودنا، وقد تكون أكثر أهمية وخطورة من الضرورات =

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

ولذلك فإن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة تصرح فى جميع الآيات والأحاديث التى تحدثت عن الجهاد بأنه فى «سبيل الله» وفى إشارة إلى ما تعنيه هذه الكلمة الموجزة «فى سبيل الله» قال الحبيب المصطفى ﷺ: «من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله»(١).

(٧) بهذا التحديد القاطع لما يبتغيه الإسلام من وراء الجهاد سارت الدعوة الإسلامية نقية الغاية من الحروب التى كانت تشتعل فى ذلك الوقت لأغراض العصبية أو لأجل السيطرة على الشعوب، وامتصاص دمائها، وسلب خيراتها، أو التى كان يؤجج أصحابها نيرانها لإشباع غريزة سفك الدماء عندهم.

= العسكرية، فلا بد من الوصول إلى المواد الأولية فى بلاد العالم الأخرى، ولا بد لنا من قدرة على تصدير جزء من فائض إنتاجنا). اهـ.

فهذه غايتهم من حروبهم كما تنطق بذلك ألسنتهم، ووسائلهم لتحقيق هذه الغايات تتجرد كذلك عن الإنسانية، فلا يتورعون عن إفساد البلاد والعباد دون تفريق بين إنسان وآخر.

وهذه بعض الأمثلة:

فى الحرب العالمية الثانية أصدر هتلر التعليمات الآتية لقادة جيوشه:

يجب محو موسكو ولتتجرد من على الأرض للتخلص تمامًا من سكان المدينتين حتى لا نضطر لإطعامهم فى فترة الشتاء، وتقوم الطائرات بالإبادة، وليست هناك ضرورة لاستخدام الدبابات.

وبالنسبة للمدن الأخرى فينبغى أن تكون القاعدة هى: قبل غزوها ينبغى أن تتحول إلى أنقاض بنيران المدافع والغارات الجوية.

نقلاً عن «المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية» ص٥٠، وص٨٠ ـ اللواء/ جمال الدين محفوظ ـ طبعة ثانية ـ دار الاعتصام ـ القاهرة.

وما فعله هتلر فى روسيا فعلته روسيا فى الجمهوريات الإسلامية إبان الثورة الشيوعية، وفعلته أمريكا فى فيتنام، والحلفاء فى العراق، والصربيون مع مسلمى البوسنة، وتفعله إسرائيل مع الفلسطينيين، ويفعله الهنود مع أبناء كشمير.

فهى حروب تسودها الأنانية، ويدفع إليها الطمع وإيقاع الذل بالآخرين، ولذلك تستبيح الدول ذات السيادة فى العالم المعاصر الأسلحة الممنوعة بكافة أشكالها، وتحول دون حصول الآخرين ـ وبالأخص المسلمون ـ على هذه الأسلحة لتظل السيادة والسيطرة لهم دون غيرهم.

(١) أخرجه البخارى (جـ١، ص٣٦) كتاب العلم ـ باب من سأل وهو قائم عالمًا جالسًا، وأخرجه مسلم (جـ٣، ص١٥١٢) كتاب الإمارة ـ باب من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله.

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

كما سارت الدعوة الإسلامية فى جهادها نقية الأسلوب فى تعاملها مع المخالفين، فلا تخريب ولا تدمير، ولا تعرض لغير المقاتلين من الأطفال والنساء والرهبان، ولا تشويه ولا تمثيل بجثث القتلى... إلخ.

وفيما يلى نذكر بعضًا من النصوص والتوجيهات التى كانت بمثابة دستور سار عليه المسلمون فى حروبهم، حتى استحقوا نصر الله لهم على أعتى الجيوش رغم قلة عددهم وعتادهم، تحقيقًا لوعد الله الذى لا يتخلف ﴿...وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

(أ) أخرج مسلم فى صحيحه عن سليمان بن بريدة عن أبيه رضى الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميرًا على جيش أو سرية أوصاه فى خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرًا، ثم قال: «اغزوا باسم الله فى سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلُّوا[١]، ولا تغدروا، ولا تمثلوا[٢]، ولا تقتلوا وليدًا...»[٣].

وفى رواية أخرى لأبى داود عن أنس رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «انطلقوا باسم الله، وبالله، وعلى ملة رسول الله، ولا تقتلوا شيخًا فانيًا، ولا طفلاً، ولا صغيرًا، ولا امرأة، ولا تغلوا، وضموا غنائمكم، وأصلحوا وأحسنوا إن الله يحب المحسنين»[٤].

(ب) حين خرج جيش أسامة بن زيد رضى الله عنهما قام بتوديعه سيدنا أبو بكر رضى الله عنه خليفة المسلمين وقتئذ، وأعطاه بعضًا من الوصايا والنصائح جاء فيها:

«لا تخونوا ولا تغدروا، ولا تغلوا ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً ولا شيخًا كبيرًا ولا امرأة، ولا تعقروا (لا تقطعوا) نخلاً ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة،

---

(١) لا تغلُّوا: لا تأخذوا شيئًا من غنائم الحرب قبل قسمتها.

(٢) لا تمثلوا: لا تشوهوا القتيل بتقطيع بعض أجزائه على سبيل الانتقام والتشفى.

(٣) أخرجه مسلم (جـ٣، ص١٣٥٧) كتاب الجهاد والسير - باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث، ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها.

(٤) أخرجه أبو داود (جـ٢، ص٣٩) كتاب الجهاد - باب فى دعاء المشركين.

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرًا، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم فى الصوامع، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له، وسوف تقدمون على قوم بآنية فيها ألوان الطعام، فإذا أكلتم منها شيئًا بعد شىء فاذكروا اسم الله عليه، وتلقون أقوامًا قد فحصوا أوساط رءوسهم وتركوا حولها مثل العصائب، فأخفقوهم بالسيف خفقًا، اندفعوا باسم الله»[١].

(ج) حين وجه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب سعد بن أبى وقاص رضى الله عنهما لفتح بلاد فارس كتب له كتابًا جاء فيه:

«أما بعد فإنى آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو، وأقوى المكيدة على الحرب... وآمرك ومن معك من الأجناد أن تكونوا أشد احتراسًا من المعاصى منكم من عدوكم، فإن ذنوب الجند أخوف عليهم من عدوهم، وإنما يُنْصَرُ المسلمون بمعصية عدوهم لله، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة، لأن عددنا ليس كعددهم، ولا عدتنا كعدتهم، فإن استوينا فى المعصية كان لهم الفضل علينا فى القوة، وإلا ننتصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا، واعلموا أن عليكم فى سيركم حفظة من الله، يعلمون ما تفعلون، فاستحيوا منهم، ولا تعملوا بمعاصى الله وأنتم فى سبيل الله، ولا تقولوا إن عدونا شر منا فلن يسلط علينا، فرب قوم سلط عليهم شر منهم، كما سلط على بنى إسرائيل ـ لما عملوا معاصى الله ـ كفار المجوس، فجاسوا خلال الديار، وكان وعدًا مفعولاً... واسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم. أسأل الله تعالى ذلك لنا ولكم»[٢].

ونكتفى بهذا القدر من الأمثلة، مشيرين إلى أن هذه الأقوال ـ وغيرها كثير ـ شكلت لونًا من الآداب الإسلامية هو «أدب الحرب» استحوذ على كتابات الكثير من المؤلفين[٣].

(١) الكامل فى التاريخ لابن الأثير (جـ٢، ص١٣٩).

(٢) الدعوة إلى الجهاد فى القرآن والسنة ص٢٧، عبد الله بن محمد بن حميد.

(٣) راجع على سبيل المثال «آداب الحرب فى الإسلام» للشيخ محمد الخضر حسين، «الحرب على هدى القرآن والسنة» لأحمد حسين، وغيرهما.

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

(٨) وبهذه الرؤية الإسلامية للحرب والجهاد انطلقت جيوش المسلمين فى جميع الأرجاء تفتح بلداً تلو آخر، مما أسهم فى تهيئة الأجواء، وإزاحة العقبات، ليفكر الناس فى هذا الدين وما يدعو إليه فى جو طليق من الحرية، دون ضغط عليهم من الساسة الظالمين، والحكام الجائرين، الذين أرادوا وأد هذه الدعوة فى مهدها، فإذا بالشعوب - فى ظل تفكير متئد - ترى فى الإسلام مركب الإنقاذ، وإذا بالإسلام يبسط جناحه على مساحة كبيرة من المعمورة وقتئذ، تمتد من بلاد الصين شرقًا وحتى بلاد الأندلس غربًا، ومن أواسط آسيا شمالاً حتى أواسط أفريقيا جنوبًا.

(٩) لقد قدم المسلمون بفتوحاتهم خدمة عظيمة للبشرية، ومن حق أصحابها أن نتذكرهم ونثنى عليهم بالخير، إضافة إلى أن الوقوف على هذه الفتوحات - من وجهة نظر سلف الأمة الصالح - يعد مجالاً خصبًا للتربية والتهذيب، ولذا أولوا هذه الفتوحات عنايتهم، ونقلوها إلى أجيالهم، كما كانوا يفعلون مع القرآن، سواء بسواء.

يقول الإمام زين العابدين بن الإمام الحسين بن الإمام على رضى الله عنهم: «كنا نُعلِّم أولادنا مغازى رسول الله ﷺ كما نعلمهم السورة من القرآن»[١].

ويقول إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنهم: «كان أبى يعلمنا المغازى والسرايا، ويقول: يا بنى هذه شرف آبائكم، فلا تضيعوا ذكرها»[٢].

ومن ثم أرى لزامًا علينا - ونحن نتحدث عن الفتوحات والجهاد - أن نشير - ولو بأسلوب موجز - إلى هذه الفتوحات، وإلى القادة العظام، الذين يرجع إليهم الفضل فى قيادتها.

(١) انتشار الإسلام فى جزيرة العرب:

ظهر الإسلام أول ما ظهر على يد النبى محمد ﷺ فى جزيرة العرب، فكان

(١)، (٢) نقلاً عن «السرايا الحربية فى العهد النبوى» د. محمد سيد طنطاوى ص١١ - طبع مجمع البحوث الإسلامية - الكتاب الأربعون - السنة الثالثة - سنة ١٣٩١هـ - سنة ١٩٧١م.

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

من الطبيعى أن تكون هذه البقعة هى أول البقاع التى يصلها نور الإسلام، ومنها ينطلق إلى سائر البقاع.

واجهت الدعوة الإسلامية فى بدايتها مقاومة عنيفة من أهل مكة، واضطر المسلمون تحت وطأة التعذيب إلى الهجرة مرتين إلى الحبشة.

وقد سبقت الإشارة إلى أن النبى ﷺ كان يعرض نفسه على القبائل الوافدة إلى بيت الله الحرام، فيدعوهم إلى الله تعالى، وأنه التقى ﷺ فى أحد المواسم بنفر من الأوس والخزرج، كانوا يسمعون من اليهود فى المدينة أن نبيًا قد أظل زمانه، وأنهم - أى اليهود - سيتبعونه، ويقتلون معه غير اليهود قتل عاد وإرم، وقد انشرحت صدور هؤلاء النفر لدعوة الإسلام، وأحبوا أن يكون لهم فضل السبق لاعتناق هذا الدين قبل اليهود، ومن ثم عقدوا مع النبى ﷺ بيعتى العقبة الأولى والثانية، وتمت مبايعة النبى ﷺ على الهجرة إلى مدينتهم وتعهدهم باحتضان الدعوة، والدفاع عنها وحمايتها، وبعث معهم النبى ﷺ سفيره الأول مصعب بن عمير رضى الله عنه، فقام بتهيئة الأجواء فى المدينة المنورة بالدعوة إلى الله، بحيث لم يبق بيت من بيوتها إلا ودخله نور الإسلام.

وفى العام التالى هاجر النبى ﷺ وأصحابه إلى المدينة المنورة، وفيها وضعت اللبنات الأولى لبناء الدولة الإسلامية، وفى هذا الإطار كان بناء المسجد النبوى، والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وتوقيع معاهدة مع يهود المدينة تضمن لكل طرف أن يعيش فى أمان إلى جانب الآخر، وقد أشرت فيما سبق إلى كل هذا.

وفى هذا الجو الآمن، ووسط هذه العصبة المؤمنة بدأ النبى ﷺ خطته لنشر الإسلام فى دائرة أوسع[1]، فبعث بكتبه ورسله إلى الملوك والأمراء، واستقبل العديد من الوفود التى قدمت عليه لتتعرف على الإسلام، وتكون بمثابة طلائع وسفراء عن أهليهم وذويهم.

(١) نشير هنا إلى أن خطة النبى ﷺ لنشر الإسلام فى دائرة أوسع لم تكن وليدة الظروف - كما يدعى المستشرقون - وإنما كان الأمر فقط مجرد انتقال من المرحلة النظرية التى كانت فى مكة إلى المرحلة العملية.

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

وقد كانت الوفود ـ ومن قبلها الرسائل ـ نتيجة لجهاد طويل خاضه النبى ﷺ وأصحابه، حتى بلغت غزواته ﷺ ٢٧ غزوة، وبلغت بعوثه وسراياه ٣٨ بعثًا وسرية[1]، دافع المسلمون فيها عن أنفسهم، وأزاحوا كافة الطواغيت والمعوقات التى كانت تحول دون انتشار الإسلام، وتعمل على وأده والقضاء عليه بكل الوسائل الممكنة.

وقد أتاحت هذه الوسائل ـ مجتمعة ـ فى أن يعم نور الإسلام على معظم أرجاء الجزيرة العربية، وتصل أخباره إلى مسامع الدولتين الكبيرتين وقتئذ، وهما: الفرس والروم.

وفى أواخر السنة الثامنة من الهجرة حاولت الدولة الرومانية التحرش بالمسلمين، وعزموا على غزو بلاد العرب من الجهة الشمالية، بعد أن تحالفوا مع بعض العرب لتنفيذ هذه الخطة، والتى كانت ـ فى نظرهم ـ كفيلة بإيقاف الزحف الإسلامى على ما تبقى من جزيرة العرب، ومنع تهديد المسلمين للدولة الرومانية فى بلاد الشام.

وقد عزم النبى ﷺ على مواجهة هذه التحركات بنفسه وأن يتملك زمام المبادرة ـ رغم بعد المسافة، وشدة الحرارة، وقلة الزاد ـ حتى يرهب الدولة العظمى آنذاك، ويقضى على آمالهم فى أى هجوم يشنونه على المسلمين.

وجهز النبى ﷺ جيشًا يعد الأكبر من نوعه فى تاريخ الدعوة حتى ذلك الحين، قيل إنه بلغ ثلاثين ألفًا تصحبها عشرة آلاف فرس، وواصل المسلمون مسيرتهم حتى وصلوا إلى تبوك، فعسكروا فيها عشرين يومًا، فى الوقت الذى انسحبت فيه الجيوش الرومانية إلى داخل بلاد الشام حين علموا بهذا الجيش الكبير، وقدرته على مواجهة الصعاب.

وقد قهرت هذا التحركات الدولة الرومانية، وأضعفت من مركزها وسلطتها على القبائل العربية المجاورة، وكسرت حاجز الخوف الذى كان يسيطر على العرب

(١) اصطلح المؤرخون على إطلاق كلمة «غزوة» على القوة التى تخرج فى صحبة الرسول ﷺ، سواء حاربت أم لم تحارب، وأما التى يعقد فيها اللواء لغير رسول الله ﷺ فتسمى سرية.

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

من قوة الرومان وشدة بأسهم، فأعلنوا ولاءهم للدولة الإسلامية الجديدة، ودخل كثيرون منهم فى هذا الدين.

وشىء آخر ـ له أهميته فى مجال انتشار الإسلام ـ وهو أن غزوة تبوك كانت خطوة ساعدت المسلمين على تخطى حدود الجزيرة العربية، والقيام بالفتوحات الإسلامية فى العصور التالية.

وفى خطوة أخرى مشابهة قام النبى ﷺ فى مطلع العام الحادى عشر من الهجرة بتجهيز جيش كبير، وجعل إمارته لأسامة بن زيد[1] رضى الله عنهما، وأمره أن تطأ خيول المسلمين أرض فلسطين[2]، وحققت الحملة أهدافها، ووطئت خيول المسلمين أرض فلسطين، وبذلك تمهد السبيل أمام الفاتحين لاجتياز بلاد الشام، وإسماعها صوت الإسلام.

ومن هذا يتبين لنا أن الجزيرة العربية بأكملها قد استضاءت بنور الإسلام فى حياة النبى المصطفى ﷺ، ودخل الناس فى دين الله أفواجًا، حتى كان عدد الذين رافقوا رسول الله ﷺ فى حجة الوداع من المسلمين يربو على المائة ألف، كما أن النبى ﷺ لم يشأ أن يقف بدينه ودعوته عند حدود جزيرة العرب، وأن من الواجب الانطلاق بها خارج هذه الحدود، فكانت غزوة تبوك، وحملة أسامة بن زيد رضى الله عنه مؤشرين إلى هذا الأمر، وهو ما قام به الفاتحون فيما بعد فى عصور الخلفاء الراشدين ومن بعدهم.

وهو ما سنحاول إلقاء الضوء عليه فى النقاط التالية:

---

(١) كان أسامة بن زيد فى هذا الوقت لا يتجاوز السابعة عشرة من عمره، وكانت هذه لفتة كريمة من رسول الله ﷺ فى تقليد الشبان الأكفاء مناصب القيادة، والتدليل على سمو الإسلام وارتقائه بكافة أبناء المجتمع المسلم، سواء كانوا أحراراً فى الأصل، أو موالى. وهو ما جعل الصديق أبا بكر رضى الله عنه يصر ـ رغم وفاة النبى ﷺ، واعتراض كثير من الصحابة على إنفاذ الجيش فى هذا الوقت ـ على أن يأخذ الجيش طريقه، وتحت إمرة أسامة نفسه.

(٢) ذكر فى سبب هذه الحملة أن هذه المناطق كانت قد ساعدت الروم ضد المسلمين فى سرية مؤتة، فكان فى هذه الحملة تأديب لهم على موقفهم هذا.

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

(٢) الفتوحات فى عصر الخلفاء الراشدين:

تولى الصديق أبو بكر رضى الله عنه خلافة المسلمين إثر وفاة النبى ﷺ فعمل منذ البداية على اتباع سياسة الانتشار بالدعوة الإسلامية خارج حدود الجزيرة العربية، رغم انشغال المسلمين بمحاربة المرتدين من مانعى الزكاة.

ونظراً لضيق الفترة التى قضاها سيدنا أبو بكر فى الخلافة ـ وهى حوالى السنتين ـ بدأت حركة الفتوح فى عهده رضى الله عنه، لكنها استمرت حتى شملت العهود التالية.

وفيما يلى تعريف موجز بأهم هذه الفتوحات وقادتها العظام رضوان الله عليهم:

(١) فى الجهة الشرقية (الجهة الفارسية) تمكن المسلمون من تحقيق عدد من الانتصارات ضد المواقع الفارسية، وتوجوها بدخول الحيرة، عاصمة المناذرة، حلفاء الفرس فى العراق، وذلك بقيادة المثنى بن حارثة، وعياض بن غنم، وخالد بن الوليد.

(٢) تولى الصحابى الجليل سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قيادة المسلمين فى هذه الجهة إثر توجه خالد بن الوليد رضى الله عنه لمؤازرة إخوانه فى اليرموك ضد جيوش الروم فى الجهة الشمالية.

وقد تمكن سعد بن أبى وقاص فى معركة القادسية سنة ١٥هـ من تحقيق انتصار كبير على الفرس، قضى فيه على قواتهم فى العراق.

(٣) وبعد أربع سنوات قام يزدجرد الإمبراطور الساسانى بتكوين جيش من أبناء فارس يزيد عدده عن الخمسين ألفًا، فعين أمير المؤمنين عمر بن الخطاب النعمان ابن مقرن المزنى على قيادة الجيش المسلم الذى سيواجه هذه القوات. وفى سنة ٢١هـ التقى الجيشان عند نهاوند، وكان النصر حليف المسلمين فى هذه المعركة كذلك، وبهزيمة الفرس فى نهاوند قضى المسلمون على الإمبراطورية الفارسية، وانساحوا بعدها فى بلاد فارس وما جاورها من البلاد مثل، أذربيجان وأرمينية

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

وغيرهما، ولذا تسمى نهاوند فتح الفتوح.

وفى الجبهة الشمالية البيزنطية الرومية تجمع الرومان فى جيش كبير عسكروا به على مقربة من حدود بلاد العرب وفلسطين، بغية الانتقام لأنفسهم من الغارة التى شنها عليهم أسامة بن زيد رضى الله عنهما.

وعندئذ دعا الصديق أبو بكر رضى الله عنه المسلمين من جميع أرجاء الجزيرة العربية إلى الجهاد، فلبى كثيرون منهم الدعوة، وتجمع منهم عدد كبير، فقام الصديق أبو بكر رضى الله عنه بعقد اللواء لأربعة من الأمراء، هم:

(أ) أبو عبيدة بن الجراح، ووجهته حمص.

(ب) عمرو بن العاص، ووجهته فلسطين.

(ج) يزيد بن أبى سفيان، ووجهته دمشق.

(د) شرحبيل بن حسنة، ووجهته الأردن.

(١) وقد حققت هذه القوى انتصارات أزعجت الروم، وأدركوا خطورة الوضع على دولتهم وبلادهم، فحشد الإمبراطور هرقل جيشًا يقارب المائة ألف، وجعل على قيادته «فردريك» أخاه، فتحرك الجيش وعسكر وسط الشام عند اليرموك، وعندئذ أشار الصديق أبو بكر رضى الله عنه على الجيوش الأربعة أن تجتمع تحت قيادة واحدة، وأرسل إلى خالد بن الوليد الذى كان فى الجبهة العراقية أن يدعها، ويمضى إلى نجدة إخوانه فى الشام.

وتحت قيادة خالد بن الوليد رضى الله عنه دارت رحى معركة «اليرموك» بين المسلمين والروم، وقد لحقت بالروم الهزيمة، وبهزيمتهم فتح الطريق أمام المسلمين لاجتياح باقى المدن والمواقع فى بلاد الشام.

(٢) وعلى نفس الجبهة اشتبكت القوات المسلمة بقيادة عمرو بن العاص مع القوات البيزنطية عند أجنادين فى فلسطين، وتمكن من تحقيق نصر كبير عليها، لا يقل أهمية عن انتصار المسلمين يوم اليرموك.

وقد توجت هذه الانتصارات كلها بسقوط مدينة القدس بأيدى المسلمين، وتم

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

توقيع معاهدة صلح بين المسلمين وسكان المدينة، باشرها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه بنفسه.

(٣) وفى عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه تمكنت القوات المسلمة بقيادة عمرو بن العاص من فتح مصر.

(٤) وفى عهد الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه دخل المسلمون مجال الحرب البحرية، فابتنى المسلمون أسطولاً بحريًا تمكن من فتح جزيرتى قبرص ورودس، كما انتصر المسلمون على الروم البيزنطيين فى معركة ذات الصوارى، وتدمير أسطولهم البحرى المكون من خمسمائة قطعة.

وقد حاولت الدولتان الفارسية والرومانية استرداد بعض مواقعهم القديمة، فقاموا بعدة محاولات فى هذا الشأن، لكن الخليفة عثمان رضى الله عنه تمكن من القضاء عليها، واستقر الأمر للمسلمين.

(٥) وفى زمن الخليفة الراشد على بن أبى طالب رضى الله عنه ذَرَّ قرن الخلاف بين المسلمين، فانشغلوا بأنفسهم عن أعدائهم، فلم تكن ثمة فتوحات، بل إن ذلك أطمع أعدائهم فيهم، وكاد الروم يظفرون بشىء من آمالهم فى استرداد ما أخذ منهم، لولا تفطن معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه لذلك، وبعثه رسالة إلى ملك الروم يهدده فيها بشن حرب عليه إن لم ينسحب هو ومن معه[1].

وما إن استقرت الأوضاع فى الدولة الإسلامية تحت قيادة الدولة الأموية، حتى باشر المسلمون من جديد فتوحاتهم، بعد أن زالت المعوقات من طريقها.

(٢) الفتوحات فى عصر الدولة الأموية:

نشطت الدولة الأموية فى متابعة سلسلة الفتوح التى بدأت فى عهد الخلفاء الراشدين، واستطاع المسلمون فى ظل هذه الدولة أن يبسطوا سلطانهم، ويعززوا وجودهم فى معظم أقاليم المعمورة وقتئذ.

(١) انظر «البداية والنهاية» الحافظ ابن كثير (جـ٨، ص١١٩) مع الاعتبار بالحادثة فى التدليل على أهمية أن يكون المسلمون صفًا واحدًا، وأن يكون بأسهم على أعدائهم، وليس على أنفسهم، وأن المسلمين لا يعينون أعداءهم على أنفسهم بشىء مثلما يعينونهم بفرقتهم واختلافهم فيما بينهم.

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

وقد عمل الأمويون على ثلاث جبهات مختلفة، وهى على النحو التالى:

(١) فى جهة الشرق قاد الفتوحات قتيبة بن مسلم الباهلى، الذى كان واليًا على خراسان[١]، فاستكمل فتح بلاد وسط آسيا مما يجاور أذربيجان وأرمينيا، وتوالت معاركه فى هذ المناطق حتى استولى عليها جميعًا، وظل يواصل مسيره حتى قُرب من حدود الصين، وجرت مفاوضات بينه وبين ملك الصين، بخضوع الثانى، وقبوله دفع الجزية.

وبهذا أصبح وسط آسيا بأكمله تحت السيطرة الإسلامية، ورأى أهل تلك البلاد فى معاملة المسلمين لهم ما شجعهم على اعتناقه، والدخول فيه، وقد أمدت هذه المنطقة العالم الإسلامى بنوابغ العلماء فى شتى فروع المعرفة، وعلى رأسهم الإمامان الجليلان: البخارى ومسلم.

(٢) فى الجهة الجنوبية قاد محمد بن القاسم الثقفى الفتوحات الإسلامية فى بلاد الهند، حتى وصل إلى مشارف هضبة الدكن الهندية فى الجنوب، ووصل إلى ملتان فى جنوب بلاد البنجاب ودخلها.

(٣) فى جهة الغرب قاد حركة الفتوحات موسى بن نصير وطارق بن زياد، وتم إخضاع الشمال الأفريقى بكامله للسيطرة الإسلامية منذ سنة ٩٠هـ.

وبعد ذلك قام نفس القائدين بالتوجه نحو الأندلس[٢]، وتم إخضاعها ـ كاملة ـ بعد سلسلة من المعارك العنيفة فى مدة لا تتجاوز السنتين، وقد وصل موسى بن نصير إلى جنوب فرنسا، وكاد أن يواصل مسيرته فيها، لولا أن الخليفة الوليد بن عبد الملك دعاه إلى الكف عن التوسع أكثر من هذا.

(٤) الفتوحات فى عهد الدولة العباسية:

ورثت الدولة العباسية دولة مترامية الأطراف، شاسعة المسافات، فكفت ـ نسبيًا ـ عن متابعة الانتشار، وحرصت على تماسك الدولة الإسلامية القائمة، وبذل

(١) كلمة (خراسان) تطلق ويراد بها الأقاليم الواقعة وسط آسيا.
(٢) الأندلس: تشمل بلاد إسبانيا والبرتغال حاليًا.

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

الوسع فى مواجهة الفتن والثورات الداخلية.

ومما يميز العصر العباسى منح الأقاليم البعيدة استقلالاً ذاتيًا عن الدولة الأم، وتشجيع هذه الدويلات الصغيرة على متابعة سياسة الانتشار، مما جعل بعضًا من هذه الدوليات تحقق شيئًا من التوسع، وتظفر ببعض الانتصارات، والتى من أهمها ما يلى:

(١) دولة الغزنويين فى أواخر القرن الرابع الهجرى، والتى أسهمت بشكل فعال فى نشر الإسلام فى عهد مؤسسها سبكتكين وابنه محمود الغزنوى، وذلك فى بلاد الأفغان وبلاد شبه القارة الهندية بعد جهاد طويل، قضى على الوثنية، وأحل محلها الإسلام.

(٢) دولة الأغالبة فى الشمال الأفريقى، والتى اعتنت بتنمية الأسطول البحرى الإسلامى فى مياه البحر المتوسط، ودخلت به معارك مع الأسطول الرومانى، وتوجت جهودهم بسقوط جزيرة صقلية، وخضوعها لحكم المسلمين، حتى سقطت بعد مضى أكثر من مائتى عام بيد الرومان مرة ثانية.

(٥) الفتوحات فى عهد الدولة العثمانية:

توقفت حركة الفتوحات فترة طويلة إثر تعرض العالم الإسلامى للحملات الصليبية والغزو المغولى، ولم يكن بمقدور المسلمين خلال هذه الفترة إلا المحافظة على أنفسهم، والدفاع عنها ضد هذه الغزوات التى استهدفت اجتثاث الإسلام من جذوره، والقضاء عليه بصورة نهائية.

ثم ظهر العثمانيون على مسرح التاريخ، فقادوا حملة جديدة عملت على توسيع رقعة الإسلام، ومد آفاقه إلى عوالم جديدة، عجز السابقون عن الوصول إليها، وذلك باتجاههم إلى أوربا.

لقد اتصف العثمانيون بالحماسة لدينهم، وشدة البأس على أعدائهم، فوجهوا كل اهتمامهم إلى الشئون العسكرية، وتمكنوا من إلحاق العديد من الهزائم بالرومان البيزنطيين فى شتى أرجاء القارة الأوربية.

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

وكانت بلغاريا والمجر وألبانيا واليونان وبولندة والنمسا ويوغوسلافيا مسرحًا لكثير من العمليات العسكرية، وقد حالف العثمانيين التوفيق فى معظم معاركهم، حتى كادوا أن يخضعوا أوربا بأكملها للسيطرة الإسلامية، لولا بعض الأخطاء التى أدت إلى فقدانهم معظم هذه المكاسب، ومن أهمها عدم تركيزهم على أهمية التنمية الحضارية والإبداع فى فترات السلم، وعدم مواكبة الثقافة الإسلامية واللغة العربية لتلك الفتوحات.

من أهم القادة العثمانيين عثمان الذى تنسب إليه الدولة، ومن بعده ابنه أورخان.

ومن بعد أورخان جاء ابنه مراد الثانى، الذى قاد معظم الحملات ضد أوربا، وتولى من بعده بايزيد فواصل المسيرة، ثم تولى محمد الثانى ابن مراد الحاكم، وكان من أهم أعماله إسقاط القسطنطينية التى استعصت على من سبقوه، كما اكتسح بلاد الصرب وألبانيا، وجاء من بعده سليمان الكبير فدخل إلى بلجراد، واستأنف الحرب ضد المجر حتى دخل عاصمتهم بودابست، وبعد ذلك تقدم إلى فيينا ـ عاصمة النمسا ـ وقد فرض الحصار عليها، ثم اضطر إلى فك الحصار، والعودة إلى بلاده لمواجهة المشاكل الداخلية.

وبعد:

فهذه لمحات سريعة وخاطفة حول الفتوحات التى قام بها المسلمون الأوائل[1]، والتى أسهمت فى تهيئة الأجواء ليتعرف الناس على الإسلام دون تشويه، ودون ضغوط ومضايقات، وقد اقتنعت شعوب كثيرة بهذا الدين، فدخلت فيه طائعة مختارة، ولولا العقبات والمشكلات التى تعترض مسيرة هذا الدين فى العصر الحاضر لما كان لهذا الدين منافس فى عالم اليوم.

وإذا كانت الفتوحات الإسلامية قد أسهمت إلى حد كبير فى تهيئة الأجواء

(١) تناول المؤرخون هذه الفتوحات بالتفصيل حينًا، وبالإيجاز حينًا آخر، ولما كان مقصدنا فى هذا البحث التعرف على الفتوح وقادتها آثرنا الاختصار، تاركين التفاصيل لكتب التاريخ المتخصصة فليرجع إليها من أراد المزيد.

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

لدخول الكثيرين فى الإسلام، فإننا لا ننسى دور الدعاة الذين حملوا الإسلام فى الماضى إلى بقاع لم تطأها أقدام الفاتحين، مثل: جنوب شرق آسيا وأستراليا ووسط أفريقيا وغير ذلك، وفى العهد الحاضر يضطلع الدعاة بمسئولياتهم فى قلب العالم الحديث: فى أوربا وأمريكا واليابان، والدول التى كانت تحت سلطان الشيوعية، وفى مناطق آسيوية وأفريقية عديدة.

ورغم قلة الوسائل ـ مقارنة بوسائل خصوم الإسلام ـ فإنهم ينجحون فى إدخال الكثيرين إلى هذا الدين، وهو ما يدل على عظمة هذا الدين، وقدرته على الحركة والانتشار لما فيه من صلاحيات ذاتية، تناسب الإنسان فى كل زمان ومكان.

* * *

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

الفصل الثالث

مفتريات على التاريخ الإسلامى

ويشتمل على المباحث التالية:

(١) المسلمون واستعمال السيف.

(٢) المسلمون والغنائم.

(٣) العلاقة بين الإسلام والعروبة.

(٤) الأسباب الخارجية وعلاقتها بانتشار الإسلام.

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

• تمهيد:

(١) منذ بزغ فجر الإسلام وأعداؤه لا يخفون كراهيتهم له، وحشدهم كافة الإمكانات لمحاربته.

يقول الله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ...﴾ [البقرة:١٠٩].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ...﴾ [آل عمران:١١٨].

والآيات فى هذا المعنى كثيرة.

(٢) ورغم التقدم العلمى الهائل وسهولة التعرف على قيم الإسلام وحضارته نتيجة سهولة الاتصالات فى العصر الحديث إلا أن حدة العداء لم تخف، ووسائل الحرب المعلنة والخفية ضد الإسلام تتجدد مع تجدد الابتكارات والمخترعات الحديثة.

يقول المستشرق ولفرد كانتول سميث: «إن الغرب يوجه كل أسلحته الحربية والعلمية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية لحرب الإسلام»[1].

وقد أوردت فى كتابى (المسلمون وداء الفرقة) الكثير من هذه الأقوال، فليرجع إليه من أراد المزيد.

وصدق الله إذ يقول ـ بأسلوب النفى الدال على المستقبل ـ: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ...﴾ [البقرة:١٢٠].

(٣) وقد كان التاريخ أحد المجالات الرئيسية التى عمل أعداء الإسلام من خلالها على هدم الإسلام وتقويض بنيانه.

وقد انصب جهدهم فى هذا المجال على عدة محاور، نلخصها فيما يلى:

(١) الله أو الدمار ص٦٥ ـ سعد جمعة ـ طبعة ثالثة ـ سنة ١٩٧٦م ـ المختار الإسلامى ـ القاهرة.

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

(أ) التركيز على إحياء التاريخ القديم السابق على الإسلام، كتاريخ الفراعنة والآشوريين والكنعانيين والفينيقيين وغيرهم بصورة براقة تغرى بمعرفتها، وتعمل على نشرها وإذاعتها، مما يجعل المسلم مذبذبًا بين دينه وبين تلك الحضارات.

يقول أحد المستشرقين: «إننا فى كل بلد إسلامى دخلناه نبشنا الأرض، لنستخرج حضارات ما قبل الإسلام، ولسنا نطمع بطبيعة الحال أن يرتد المسلم إلى عقائد ما قبل الإسلام، ولكن يكفينا تذبذب ولائه بين الإسلام وبين تلك الحضارات».

وقد أورثت هذه الاهتمامات النعرات القومية لدى شعوب العالم الإسلامى على حساب الرابطة الإسلامية.

ولعل ما نراه ونسمعه من الاهتمام بتاريخ الفراعنة وآثارهم فى بلادنا، وصبغ الكثير من مظاهر حياتنا بصورهم خير دليل على ذلك.

(ب) الإعلاء من شأن الحضارة الأوربية، والتأكيد على أن مدنية الغرب هى أرقى شىء جاء - أو يمكن أن يجىء إلى هذا العالم - فى حين لا يُشَارُ - من قريب أو من بعيد - إلى ما اقترفته أيديهم من سفك للدماء، واستباحة للأعراض، واستعمار للشعوب، واستنزاف لخيراتها.

(ج) التغاضى أو الإهمال لكل ما من شأنه أن يعمق فى النفوس الصلة بالله، أو يربطهم بدين الله.

ففى الوقت الذى يركزون فيه على إحياء التاريخ القديم لا يذكرون أى شىء عن دعوات الأنبياء، وكأنهم لا وجود لهم، وفى الوقت الذى يركزون فيه على حضارة الغرب ومدنيته يتجاهلون إسهامات المسلمين فى الرقى البشرى، وما قدموه للإنسانية فى سبيل انتشالها من جاهليتها وتخلفها.

وفى الوقت الذى يعظمون فيه من شأن قوادهم وزعمائهم، لا يتعرضون للحركات الإسلامية الناهضة فى العالم الإسلامى، والتى تصدت للاستعمار، وحافظت على هوية الشعوب المسلمة، وذلك كالسنوسية فى المغرب العربى،

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

والنورسية فى تركيا، وغيرهما من الحركات التى عمت العالم الإسلامى بأسره.

(د) إثارة الشبهات، واختلاق المفتريات حول التاريخ الإسلامى، بما يحدث البلبلة فى نفوس المسلمين، وينفى الاعتزاز والإعجاب الذى تغرسه دراسة هذا التاريخ على حقيقته فى نفوس المسلمين.

(٤) وفى ظل السيطرة الاستعمارية على بلاد العالم الإسلامى، وامتلاك أزمَّة الأمور فى العالم المعاصر بيد هؤلاء الأعداء تمكنوا من تشكيل المناهج الدراسية والعقول المثقفة على النحو الذى أرادوا، فوجدت أجيال ممسوخة، تحمل اسم الإسلام، وهى أبعد ما تكون عنه[١].

وفى هذا الفصل نتناول أهم المفتريات التى ألصقها هؤلاء الأعداء بتاريخنا الإسلامى، آملين أن يدفع تصحيح الصورة فى هذا المجال وغيره إلى أن تعاد صياغة التاريخ الإسلامى بما يعمق فى نفوس المسلمين الاعتزاز بتاريخهم وتراثهم.

* * *

(١) راجع كتابنا «مدخل إلى التعليم فى ضوء الإسلام» للتعرف على مخططات الاستعمار فى هذا المجال الحساس.

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

المبحث الأول

المسلمون واستعمال السيف

(١) سبقت الإشارة إلى أن الإسلام أعلى من شأن الجهاد والمجاهدين، بحيث لا تكاد تخلو سورة من سور القرآن المدنى من حديث حول هذا الموضوع، وكذلك لا يخلو كتاب من كتب السنة من حديث مستفيض حول الجهاد، تبين فيه فضيلته، وتتناول فيه مسائله وآدابه.

وقد وضع الإسلام ضوابط للتعامل مع خصوم الإسلام عند إرادة قتالهم، وتتضح هذه الضوابط من خلال هذا النص النبوى.

عن سليمان بن بريدة عن أبيه رضى الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ إذا أمَّر أميراً على جيش أو سرية أوصاه فى خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً، ثم قال: اغزوا باسم الله، فى سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال (أو خلال) فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبو أن يتحولوا منها، فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجرى عليهم حكم الله الذى يجرى على المؤمنين، ولا يكون لهم فى الغنيمة والفىء شىء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فسلهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم...»[1].

(١) أخرجه مسلم (جـ٣، ص١٣٥٧) كتاب الجهاد والسير - باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث، ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها.

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

ومن خلال هذا النص النبوى نلاحظ أن الغاية من تسيير الجيوش كانت الرغبة - أولاً - فى تهيئة الفرص المناسبة ليدخل الناس فى دين الله إن أرادوا، ولذلك يبدأ القائد بعرض الدعوة أولاً، فإن أصر هؤلاء الخصوم على موقفهم، ورأوا البقاء على دينهم طولبوا بالجزية لقاء حمايتهم ودفع الأذى عنهم، ولا يكرهون على ترك دينهم أو التحول عنه، فإن أصروا على مقاومة المسلمين ومناوئتهم فلا مناص من المواجهة ﴿ ...حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ... ﴾ [البقرة:١٩٣].

(٢) وإلى جانب ما اتصف به الإسلام من تسامح بعرضه على أهل البلاد المفتوحة الإسلام أو دفع الجزية اتصف كذلك بالتسامح فى تحصيل هذه الجزية منهم، بما يعد علامة مضيئة على عظمة هذا الدين، وذلك أن الإسلام قد أحاط بتشريع الجزية عدداً من المبادئ، نلخصها فيما يلى:

(أ) أن الجزية إنما تجب على الرجال القادرين فقط، دون النساء والأطفال والعجزة والمسنين، وغير القادرين منهم تعينه الدولة الإسلامية وتساعده، ولا تتقاضى منه شيئًا.

ذكر أبو يوسف فى كتابه «الخراج» أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه مر بشيخ من أهل الذمة، يسأل على أبواب المساجد بسبب الجزية والحاجة والسن، فقال: «ما أنصفناك، إن كنا أخذنا منك الجزية فى شبيبتك، ثم ضيعناك فى كبرك، ثم أجرى عليه من بيت المال ما يصلحه، ووضع الجزية عنه وعن ضربائه»[1].

(ب) إذا أسلم رجل من أهل الكتاب سقطت عنه الجزية فورًا، ولا يجوز الجمع بين الإسلام وأخذ الجزية، وقد ذكر فى هذا أن واليًا من ولاة الدولة الإسلامية فى عهد الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز كتب إليه يقول: «إن الدخول فى الإسلام أضر بالجزية، فأفرضها على من أسلم؟ فأرسل إليه عمر بن عبد العزيز رسالة عنفه فيها، وقال له: إن الله سبحانه لم يرسل محمداً ﷺ جابيًا، وإنما أرسله هاديًا،

(١) حرية الاعتقاد فى الإسلام ص٥٧ - عبد الله ناصح علوان.

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

فإذا أتاك كتابى هذا فارفع الجزية عمن أسلم من أهل الذمة»[١].

(ج) أن المسلمين كانوا يأخذون الجزية فى مقابل حماية دافعيها أمام أى اعتداء، فإذا حدث وعجز المسلمون عن الوفاء بهذا الشرط، فإنهم يردون الجزية إلى أهلها، ويعتذرون لهم بعدم إمكانهم الدفاع عنهم.

حدث أن أبا عبيدة بن الجراح ـ قائد المسلمين فى فتوح الشام ـ عندما علم بأن هرقل قد جهز جيشًا لمهاجمة المسلمين كتب إلى عمال المدن المفتوحة فى الشام برد الجزية إلى أهلها، وكتب للناس يقول: «إنما رددنا عليكم أموالكم لأنه بلغنا ما جمع لنا من الجموع، وإنكم قد اشترطتم علينا أن نمنعكم، وإننا لا نقدر على ذلك، وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم، ونحن لكم على الشرط وما كتب بيننا إن نصرنا الله عليهم»[٢].

(٤) وإلى جانب المواقف السابق ذكرها بشأن تخيير أهل البلاد بين الإسلام والجزية، وإظهار المسلمين الفاتحين للتسامح معهم فى الأمرين معًا، تبقى جوانب أخرى تدل على مبدأ التسامح كذلك، ونختار منها ما يلى:

(أ) محافظة المسلمين على دور العبادة التى تخص غير المسلمين، وتصرفهم حيالها بما يدل على التسامح.

ونذكر هنا ما حدث من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين دخل بيت المقدس ظافرًا فاتحًا، وأدركته الصلاة ـ وكان وقتها داخل كنيسة القيامة ـ فخرج منها وصلى خارجها، ولما سأله البطريرك عن سبب ذلك قال له: «أخشى أن يتخذ المسلمون بعدى من صلاتى هذه فى الكنيسة حجة لقلبها إلى مسجد، فيخرقون المعاهدة بذلك»[٣].

وفى موقف آخر احتاج المسلمون إلى جزء من كنيسة فى الأندلس فقاموا بشرائه، ولم يجوزوا لأنفسهم الاستيلاء عليه، رغم تيسر ذلك لهم لو أرادوا.

---

(١) نفس المرجع ص٥٤.

(٢) فقه الدعوة ص١٤٠ ـ د. جمعة الخولى.

(٣) قالوا عن الإسلام ص٧٠٣ ـ د. عماد الدين خليل.

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

يقول جون براند ترند ـ الأستاذ فى جامعة كمبردج، وأحد رواد تاريخ الأندلس ـ: «آثر الغزاة المسلمون أن يشتروا من السكان المسيحيين بقرطبة جانبًا من الكاتدرائية القديمة، ورأوا أن ذلك خيرًا لهم من أخذها عنوة واغتصابًا. وهذا شاهد ينطق بما اشتهروا به من التسامح مع أصحاب العقائد المخالفة لعقيدتهم»[١].

(ب) مما يذكره التاريخ أن التتار لما غزوا بلاد الإسلام، ووقع كثير من المسلمين والنصارى فى أسرهم، ثم عادت الغلبة للمسلمين، ودان ملوكهم بالإسلام، خاطب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أمير التتار بإطلاق الأسرى، فسمح له الأمير التتارى بفك أسرى المسلمين، وأبى أن يسمح بأهل الذمة، فقال شيخ الإسلام: لا بد من فك الأسرى من اليهود والنصارى لأنهم أهل ذمتنا[٢]، فأطلقهم له[٣].

(٣) ولقد كان لهذا التسامح أثره الإيجابى والفعال فى إقبال الناس على الإسلام، واعتناقهم له عن طواعية واختيار[٤].

---

(١) نفس المرجع ص٢٧٥.

(٢) بهذه السماحة عامل المسلمون أهل الذمة، ولم تكن ثمة مشاكل فى تعايشهم مع المسلمين فى ظل الحكم الإسلامى، وهذا يرد على من يرفضون تطبيق الشريعة بحجة وجود غير المسلمين، وزعمهم بأن ذلك يعد عقبة ـ من وجهة نظرهم ـ فى طريق تطبيقها.

(٣) حرية الاعتقاد فى الشريعة الإسلامية ص٥٦ ـ عبد الله علوان.

(٤) إذا جئنا لنقارن بين معاملة المسلمين لمخالفيهم فى العقيدة من تسامح وبعد عن التعصب، وبين ما يفعله غير المسلمين بهم إذا ملكوا زمام الأمور، فإن النفوس تشمئز، والقلوب تتفطر من الألم والحزن، إذ فى الوقت الذى لم يُعرف فيه عن أى مسلم اضطهاده لمن يخالفه فى العقيدة، شهدت كثير من مناطق العالم ـ ولا تزال ـ دماء المسلمين تهدر، وأعراضهم تنتهك، وأموالهم تستباح، وإليكم بعض الأمثلة:

(أ) حدث ذلك فى الحروب الصليبية الأولى حين استولى الصليبيون على بيت المقدس، فأعملوا سيوفهم فى المسلمين تقتيلاً وتذبيحًا، حتى إنهم ذبحوا فى يوم واحد سبعين ألفًا من المسلمين، ولم يرحموا شيخًا كبيرًا أو طفلاً صغيرًا، أو امرأة.

(ب) وحدث ذلك فى الأندلس إبان سقوطها فى أيدى الصليبيين، فإذا بهم يجبرون المسلمين على التنصر، أو الهجرة خارج البلاد، ونشطت محاكم التفتيش لملاحقة من بقيت فيهم آثارة من الإسلام، وكان من نتيجة هذه السياسة الخرقاء أن تحولت الأندلس إلى النصرانية بعد الإسلام =

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

يقول على يول ـ وهو شاب دانمركى اعتنق الإسلام ـ: «إن التسامح الواسع الأفق الذى يتسم به الإسلام فى معاملة الأديان الأخرى يجعله محببًا لدى جميع من يحبون الحرية... وهذا موقف كريم بكل تأكيد حقق سبقًا كثيراً على موقف الأديان الأخرى»[١].

ومن خلال ما عرضناه يتضح لنا أن الإسلام لم يُكْرِه أحدًا على اعتناقه أو الدخول فيه، وهى التهمة التى حاول أعداء الإسلام أن يلصقوها بهذا الدين، زاعمين أنه لولا السيف لما كان لهذا الدين ما حظى به من انتشار وذيوع.

ويتضح فساد هذا القول من خلال ما عرضناه سابقًا، مع أدلة أخرى نسوقها فيما يلى:

أولاً: ينطق صريح القرآن الكريم بأن إكراه الناس على الإسلام لا يقره شرع الله، ولا تسمح به تعاليمه.

يقول تعالى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَىِّ..﴾ [البقرة:٢٥٦] الآية[٢].

= وجعلت النواقيس فى صوامعها بعد الأذان، وفى مساجدها الصور والصلبان بعد ذكر الله وتلاوة القرآن.

(جـ) وحدث ذلك أيضًا فى العصر الحديث على أيدى الأرثوذكس الحاقدين على الإسلام، وذلك بإزاء المسلمين البوسنيين، مع سكوت وإقرار ـ وأحيانًا ـ تشجيع المجتمع الدولى، الذى تملك زمامه الصليبية أيضًا، وهو عين ما يجرى الآن على أيدى الصرب أنفسهم ضد مواطنى كوسوفو المسلمين.

(د) فى الوقت ذاته مكنت الصليبية العالمية لليهود من إقامة وطن قومى لهم فى أرض إسلامية هى أرض فلسطين، وتمكن اليهود ـ بمعاونة الصليبيين ـ من التفوق التقنى والعسكرى، فأذاقوا المسلمين الويلات، واستباحوا سفك الدماء، وما فعلوه بالمسلمين فى دير ياسين، وصابرا وشاتيلا، ومسلسل الأحداث الدامى الذى لا يزال قائمًا حتى كتابة هذه السطور، كل هذا ليس ببعيد عن شباب اليوم وصدق من قال يصف الفرق بين معاملة المسلمين ومعاملة غيرهم:

ملكنا فكان العفو منا سجية ... فلما ملكتم سال بالدم أبطح
وحللتم قتل الأسارى وطالما ... غدونا على الأسرى نمن ونصفح
فحسبكم هذا التفاوت بيننا ... وكل إناء بالذى فيه ينضح

(١) قالوا عن الإسلام ص٢٦٠ ـ د. عماد الدين خليل.

(٢) دار جدل كثير بين الأئمة حول هذه الآية، فمنهم من قال إنها منسوخة بآية القتال، ومنهم من =

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

ويقول سبحانه: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:٩٩].

ويقول عز من قائل: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ..﴾ [الكهف:٢٩].

والآيات التى توكل الإيمان إلى اختيار العباد كثيرة ـ غير ما ذكرنا ـ وهى تدل بمجموعها على أن الإسلام لا يكره أحداً على اعتناقه، لأنه واثق من قوة تعاليمه، وحسن شرائعه، وأن هذه الصلاحية الذاتية كفيلة ـ إذا أتيحت لها الفرصة ـ أن تجتذب القلوب، وتستهوى العقول بالإقناع والاقتناع وليس بالقسر والقهر.

ثانيًا: لم يثبت عن النبى ﷺ أنه أكره أحداً من المشركين على الدخول فى الإسلام، رغم تمكنه من المشركين عدة مرات ـ وبخاصة يوم فتح مكة ـ ولو كان ذلك من شأنه لأعمل فيهم سيفه، وأجبرهم على اعتناقه، ولكنه ﷺ عفى عنهم جميعًا، وقال قولته المشهورة: «اذهبوا، فأنتم الطلقاء»[1].

ثالثًا: تعددت أقوال الغربيين ـ مقرونة بالشواهد ـ على تبرئة الإسلام من هذه التهمة. وفيما يلى أقوال بعضهم فى هذا الشأن:

(أ) يقول جوستاف لوبون: «ولم ينتشر القرآن بالسيف، بل انتشر بالدعوة وحدها، وبالدعوة وحدها اعتنقته الشعوب التى قهرت العرب مؤخراً كالترك

= قال بأنها مخصوصة بأهل الكتاب، الذين يقبلون بدفع الجزية، وأما من عداهم فلا بد من قتاله.

وللإمام ابن تيمية كلام طيب يرد به على القائلين بالنسخ والتخصيص جاء فيه:

جمهور السلف على أنها ليست منسوخة ولا مخصوصة، وأن النفى عام، فلا نُكْرِه أحداً على الدين، والقتال لمن حاربنا، فإن أسلم عصم ماله ودمه، وإذا لم يكن من أهل القتال لا نقتله، ولا يقدر أحداً أن ينقل أن رسول الله ﷺ أكره أحداً على الإسلام، لا ممتنعاً ولا مقدوراً عليه «السياسة الشرعية لابن تيمية» ص١٢٣.

(١) لا يتعارض مع هذا قول النبى ﷺ فيما أخرجه الشيخان «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأنى رسول الله، فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله» فقد قيل إن هذا الحديث عام، خص منه من أقر بالجزية ـ انظر (فيض القدير ـ شرح الجامع الصغير) المناوى (جـ٢، ص١٨٨).

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

والمغول، وبلغ القرآن من الانتشار فى الهند ـ التى لم يكن العرب فيها غير عابرى سبيل ـ ما زاد معه المسلمون على خمسين مليون نفس فيها، ويزيد عدد مسلمى الهند يومًا فيوم، مع أن الإنجليز ـ الذين هم سادة الهند فى الوقت الحاضر[١] ـ يجهزون البعثات التبشيرية، ويرسلونها تباعًا إلى الهند لتنصير مسلميها على غير جدوى.

ولم يكن القرآن أقل انتشارًا فى الصين التى لم يفتح العرب أى جزء منها قط...»[٢].

فهذه شهادة يسوقها أحد المستشرقين مؤيدًا لها بواقع من التاريخ الماضى.

(ب) وفى شهادة أخرى تستهدى بالواقع المعاصر يقول هنرى دى كاسترى الفرنسى فى كتابه (الإسلام خواطر وسوانح)[٣]:

«إننا نعتقد أن استطلاع حال هذا الدين فى العصر الحاضر لا يُبقى أثرًا لما زعموه من أنه انتشر بحد الحسام، ولو كان دين محمد ﷺ انتشر بالعنف والإجبار للزم أن يقف سيره بانقضاء فتوحات المسلمين، مع أننا لا نزال نرى القرآن يبسط جناحيه فى جميع أرجاء المسكونة» اهـ.

(ج) لا يبقى ـ إذن ـ مجال للقول بهذه الفرية، ويكون السبيل الوحيد لانتشار الإسلام هو الدعوة والإقناع، وهو ما يؤكد عليه توماس أرنولد، فيقول:

«ظهر أن الفكرة التى شاعت بأن السيف كان العامل فى تحويل الناس إلى الإسلام بعيدة عن التصديق، فإن الدعوة والإقناع كانا هما الطابعين الرئيسين لحركة الدعوة هذه، وليس القوة والعنف»[٤].

---

(١) تم تأليف جوستاف لوبون لكتابه «حضارة العرب» والسيطرة الإنجليزية قائمة على كافة أرجاء الهند.

(٢) حضارة العرب (ص١٢٧ ـ ١٢٨) نقلاً عن «الفتح الإسلامى للدولة الرومانية، وأثره فى الدعوة الإسلامية» د. قطب عبد الحميد.

(٣) نقلاً عن «قالوا عن الإسلام» ص٢٨٣ ـ د. عماد الدين خليل.

(٤) الدعوة إلى الإسلام ص٨٨.

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

وثمة أقوال أخرى لغير هؤلاء، لكننا نكتفى بما ذكرنا، ففيه دلالة كافية على المقصود.

رابعًا: بقى أن نقول إن الإسلام لا يحترم إيمان المُكْرَه (الذى يُظْهِر خلاف ما يُبْطِن)، ويعتبره منافقًا، ويتوعد المنافق بأنه فى الدرك الأسفل من النار، فكيف يأمر بالإكراه، أو يبيح اتخاذه وسيلة من وسائل الإيمان؟

إن الإكراه لا يزرع عقيدة فى القلب، وإنما يحمل على الاستسلام والإذعان فى الظاهر دون أن يباشر الإيمان خلجات النفوس، ويتمكن من القلوب، وهو ما ينقضه واقع المسلمين الذين تعرضوا ـ ولا يزالون ـ لكافة ألوان الاضطهاد والحرب، ومع ذلك يعضون بنواجذهم عليه، ولو كانوا مكرهين على اعتناقه لبادروا إلى التخلى عنه، عند أول فرصة تلوح لهم، ولصار الإسلام تاريخًا يتناقله الناس دون غير، وهو ما ينقضه الواقع ويبطله.

* * *

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

المبحث الثانى

المسلمون والغنائم

(١) من المفتريات التى ادَّعاها أعداء الإسلام قولهم بأن غاية المسلمين من جهادهم وفتوحاتهم كانت تحصيل المغانم، واكتساب الأموال، وأنهم أغاروا على جيرانهم من الفرس والروم، واستولوا على خزائنهم تحقيقًا لمطامعهم وأهدافهم.

وقد ردد هذه المزاعم كثير من المستشرقين، ومنهم من يوصف بالإنصاف أمثال جوستاف لوبون، وتوماس أرنولد وغيرهما[١].

وقد سرت هذه المقولة إلى صفوف المجتمع المسلم فنطق بها بعضهم خدمة لأهداف معينة.

يقول عبد الرحمن الشرقاوى فى كتابه (محمد رسول الحرية): «إن كل ما كان يسيطر على أصحاب الرسول فى الجهاد هى أحلام الغنى»[٢].

(٢) وتهدف هذه المقولة إلى تحقيق عدد من الأهداف يحرص أعداء الإسلام على تحقيقها وإقناع الآخرين بها، ومن أهمها:

(أ) نزع الصفة الإلهية عن الإسلام، وتفسيره بأنه موجة من موجات التاريخ البشرى انتهى دورها.

(ب) تجريد قادة الإسلام ومجاهديه من الأهداف العليا التى بذلوا من أجلها أموالهم ودماءهم، ووصفهم بأنهم كانوا طلاب دنيا ودعاة شهوة وشهرة[٣].

(٣) ويمكن لأى باحث متجرِّدٍ من الهوى والتعصب أن يدرك تفاهة هذا

(١) انظر «فقه الدعوة» ص١٣١ ـ د. جمعة الخولى ـ طبعة المكتبة التوفيقية ـ دون تاريخ.
(٢) نفس المرجع والصفحة.
(٣) انظر «نظرات فى دراسة التاريخ الإسلامى» ص٥٩ ـ د. عبد الرحمن على الحجى ـ طبعة ثانية سنة ١٩٧٥م ـ دار الاعتصام ـ القاهرة.

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

القول، وخلوه من الصواب، ويدلل على بطلانه بأدلة نظرية من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وأخرى تطبيقية من حياته وحياة أصحابه.

وفيما يلى نتعرَّف على أهم الأدلة، ونبدأها بالأدلة النظرية:

(أ) فى جميع الآيات التى تحدثت عن الجهاد والقتال ـ وهى تزيد على مائة موضع ـ كانت تؤكد على وجوب أن يكون ذلك فى سبيل الله لا فى سبيل آخر غير هذا.

ففى بيان أن تحديد هذا الهدف هو فيصل التفرقة بين المؤمنين والكافرين، يقول رب العزة: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ...﴾ [النساء:٧٦].

وفى التحذير من التخلى عن هذا الهدف يقول رب العزة: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [الأنفال:٤٧]. وقد ورددت الإشارة ـ بإيجاز ـ إلى هذا المعنى فى مطلع حديثنا عن الجهاد.

(ب) كما اهتم القرآن الكريم بالتأكيد على ضرورة أن يكون القتال فى سبيل الله أكد النبى ﷺ على نفس المعنى، حيث جعل إعلاء كلمة الله هو الشىء الوحيد الذى يُعَدُّ جهاد الناس لأجله فى سبيل الله، ومن قاتل للمغنم أو غيره فهو خارج عنه.

عن أبى موسى رضى الله عنه قال: «جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه، فمن فى سبيل الله؟ قال: من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله»[1].

ولذا لم يثبت عن رسول الله ﷺ وعداً لأحد بتحصيل مغنم أو اكتساب عرض

(١) أخرجه البخارى (جـ٢، ص١٣٩) كتاب الجهاد ـ باب من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا، وأخرجه مسلم (جـ٣، ص١٥١٢) كتاب الإمارة ـ باب من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله.

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

ما من أعراض الدنيا، وإنما كان يَعِدُ من أسلم من أصحابه وجاهد فى سبيل ربه بالجنة.

ومن أبرز المبايعات التى تضمنت هذا المعنى بيعة العقبة الثانية بين رسول الله ﷺ والأنصار، رغم معرفة الأنصار لما ستؤدى إليه هذه البيعة من تأليب العرب قاطبة عليهم.

قال ابن إسحاق: «وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة أن القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله ﷺ قال العباس بن عبادة بن نضلة الأنصارى، أخو بنى سالم بنى عوف: يا معشر الخزرج، هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل؟ قالوا: نعم. قال: إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس، فإن كنتم ترون أنكم إذا أنهكت أموالكم مصيبة، وأشرافكم قتلاً أسلمتموه، فمن الآن، فهو والله إن فعلتم خزى الدنيا والآخرة، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على نهكة الأموال[1] وقتل الأشراف، فخذوه، فهو والله خير الدنيا والآخرة. قالوا: فإنا نأخذه على مصيبة الأموال، وقتل الأشراف. قالوا: فمالنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفينا؟ قال: الجنة. قالوا: ابسط يدك، فبسط يده، فبايعوه»[2]. اهـ.

(ج) وعلى نفس النهج سار أصحاب النبى ﷺ، فكانوا فى جميع المواقف التى خاضوا فيها حربًا ضد غيرهم ـ كانوا ـ يعربون ـ على ألسنة قوادهم ـ أن غايتهم دعوة الناس إلى الإسلام، وأن تحقيق هذه الغاية أحب إليهم من الدنيا وما فيها.

ذكر ابن كثير فى البداية والنهاية[3] أن المسلمين عندما التقوا بالفرس فى معركة القادسية طلب رستم من القائد آنذاك وهو الصحابى الجليل سعد بن أبى وقاص أن يرسل إليه برسول عاقل عالم ليسأله عن بعض الأشياء، فأرسل إليه المغيرة بن شعبة، ثم طلب رسولاً آخر، فأرسل إليه ربعى بن عامر، فاتفقت كلمة الصحابيين لدى رستم على أن الدنيا ليست غايتهم، وأنهم طلاب آخرة لا طلاب

(١) نهكة الأموال: نقصها.
(٢) سيرة ابن هشام (جـ٢، ص٤٢).
(٣) المرجع المذكور (جـ٧، ص١٩).

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

دنيا، وكان فيما قال ربعى بن عامر فى مجلس رستم آنذاك: «الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه، ومن أبى قاتلناه أبداً حتى نفضى إلى موعود الله، قالوا: وما موعود الله؟ قال: الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن بقى». اهـ.

(٤) فإذا انتقلنا من هذا التأصيل النظرى إلى المواقف العملية فسنجد ما يدحض هذا القول وينسفه من أساسه، وتلك بعض الأمثلة:

(أ) عكس ما يدعيه المستشرقون من أن المسلمين اغتنموا فرصة الفتح للاستكثار من الأموال نجد الوقائع التاريخية تثبت أن المسلمين أنفقوا من أموالهم الخاصة على الدعوة ومشاريعها، وحين دانت لهم الدنيا كانوا أعف الناس وأكرمهم، ولم يستغلوا مناصبهم فى السطو على أموال الغير.

ومن الأمثلة المشهورة على ذلك ما عرف عن الصديق أبى بكر رضى الله عنه من إنفاق ماله كله فى سبيل الله، والفاروق عمر أنفق نصف ماله، وقام سيدنا عثمان بتجهيز جيش العسرة بأكمله من ماله الخاص وتنازل صهيب الرومى عن ماله كله لأهل مكة لقاء سماحهم له بالهجرة... إلخ هذه الأمثلة الكثيرة.

(ب) وحين لوَّح بعض قادة البلاد للفاتحين بعائد مادى يتمثل فى إعطاء كل رجل منهم دينارين، ولأميرهم مائة دينار، ولخليفتهم ألف دينار، وذلك نظير رجوعهم إلى بلادهم، كان الجواب: «أتيناكم بأمر ربنا نجاهد فى سبيله، وننفذ لأمره، وننتجز موعوده، وندعوكم إلى الإسلام وحكمه، فإن أجبتمونا تركناكم ورجعنا وخلفنا فيكم كتاب الله، وإن أبيتم لم يحل لنا إلا أن نعاطيكم القتال، أو تفتدوا بالجزى، فإن فعلتم، وإلا فإن الله قد أورثنا أرضكم وأبناءكم وأموالكم، فاقبلوا نصيحتنا، فوالله لإسلامكم أحب إلينا من غنائمكم»[1].

(١) تاريخ الرسل والملوك (جـ٣، ص٥٢٥) ابن جرير الطبرى ـ نقلاً عن «الفتح الإسلامى للدولة الرومانية، وأثره فى الدعوة الإسلامية» د. قطب عبد الحميد قطب.

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

(ج) عندما قام المسلمون الأوائل بفتح بلاد فارس وبلاد الروم ذات الغنى والثراء والاستقرار الاقتصادى، لم يتوقفوا عند هذا الحد، بل توغلوا فى بلاد إفريقية والهند وما وراء النهر، وهى بلاد فقيرة بالنسبة إلى بلاد فارس وبلاد الروم.

فلولا أن المسلمين كان هدفهم الأسمى نشر دعوتهم، والتبشير بدينهم، لما تركوا بلاد فارس وبلاد الروم، ولآثروا أن يستقروا فى عيشها الرغيد، لكن حبهم لدينهم، ورغبتهم فى نشر دعوتهم حملهم على ترك الدنيا وراءهم ظهريًا، ومات الكثير منهم غرباء فى سبيل الله.

(د) على فرض صحة ادعاء المستشرقين بأن الجوع، والتطلع إلى الثراء والغنى هو الذى حمل المسلمين على الخروج لأجل الفتوح، فهل يصدق عاقل أن يتمنى الإنسان الموت أو يتطلع إليه أو يفرح بقدومه، وهو لا يطلب الثراء والغنى ـ أصلاً ـ إلا ليعيش؟

والواقع أن من يقرأ فى كتب السنة، وتراجم الصحابة والتابعين ومن بعدهم، تتجلى له صورة مشرقة لتنافس هؤلاء الرجال على طلب الشهادة فى سبيل الله، وإلحاحهم فى الدعاء لله أن يرزقهم إياها، وحزنهم على أنفسهم إن ماتوا على فرشهم.

يقول أحد هؤلاء العظماء، وهو الصحابى الجليل عبد الله بن رواحة رضى الله عنه حين آلت إليه الإمارة بعد استشهاد سيدنا زيد بن حارثة وسيدنا جعفر بن أبى طالب فى معركة مؤتة:

يا نفس إن لا تقتلى تموتى ... هذا حِمام الموت قد صُلِيتِ
وما تمنيتِ فقد أُعْطِيتِ ... إن تفعلى فعلهما هُدِيتِ

يريد صاحبيه زيدًا وجعفرًا رضى الله عنهما، ثم نزل، فلما نزل أتاه ابن عمر له بعرْقٍ من لحم[1]، فقال: شُدَّ بهذا صلبك، فإنك قد لقيت فى أيامك هذه ما

(١) العرق: العظم إذا أخذ عنه معظم اللحم.

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

لقيت، فأخذه من يده، فانتهس منه نهسة[١]، ثم سمع الحطمة[٢] فى ناحية الناس، فقال: وأنتِ فى الدنيا؛ ثم ألقاه من يده، ثم أخذ سيفه، ثم تقدم فقاتل حتى قُتِل[٣].

وقد عقد صاحب كتاب (حياة الصحابة) فصلاً خاصًا عن رغبة الصحابة فى الموت والقتل فى سبيل الله، أورد فيه العديد من القصص المتعلق بهذا الشأن، فليرجع إليه من أراد المزيد[٤].

والخلاصة أن مثل هذا الادعاء لا يستند إلى أى دليل، بل على العكس كافة الأدلة والبراهين تثبت عكسه وتدل على غيره، ولكنه الحقد الأعمى الذى ملأ قلوب هؤلاء نحو الإسلام، فختم الله على قلوبهم، وأعمى أبصارهم، فازدادوا ضلالاً على ضلالهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

* * *

(١) فانتهس منه نهسة: أخذ منه يسيرًا.

(٢) الحُطمة: الازدحام، وحطم بعض الناس بعضًا.

(٣) البداية والنهاية (جـ٤، ص٢٤٥) الحافظ ابن كثير.

(٤) حياة الصحابة (جـ١، ص٧٦٧) محمد يوسف الكاندهلوى ـ طبعة أولى ـ دار القلم ـ دمشق.

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

المبحث الثالث

العلاقة بين الإسلام والعروبة

(١) يزعم أعداء الإسلام ومن يدور فى فلكهم أن الإسلام دعوة قومية، اتخذت من البلاد العربية منطلقًا لها، وجعلت اللسان العربى معبرًا عنها، ولذا يفسرون التاريخ الإسلامى على أساس أنه جزء من تاريخ العرب، وليس على أساس أن العرب بإسلامهم صاروا جزءًا من تاريخ الإسلام كشأن باقى القوميات[١].

وهذه الدعوى ـ كسابقتها ـ تهدف إلى نزع صفة الإلهية عن هذا الدين وربطه بالأرض، وجعله كأى حركة قام بها أصحابها للإغارة على جيرانهم، كما ينزع عن الإسلام صفة العالمية، ويحصره فى دائرة القوميات المحلية[٢].

(٢) لماذا اختيرت جزيرة العرب كمنطلق لرسالة الإسلام؟

إن أفعال الله تبارك وتعالى كلها موسومة بالحكمة، وموصوفة بالكمال.

ولما كانت رسالة الإسلام هى خاتمة الرسالات، وهى نداء الله إلى العالم بأسره، اقتضت حكمة الله تبارك وتعالى أن يختار لها من المقومات ما يساعد على نجاحها وبلوغ غاياتها.

ومن بين هذه المقومات اختيار جزيرة العرب لتكون منطلقًا لهذه الرسالة، وذلك لأسباب تعود إلى موقع هذه البلاد جغرافيًا، وإلى طبيعة سكانها وما توفَّر فيهم من أخلاق، وإلى ما تتميز به لغتهم عن سائر اللغات.

فمن حيث الموقع الجغرافى تقع شبه الجزيرة العربية ـ وبخاصة مكة المكرمة ـ فى موضع متوسط بين سائر البلاد المحيطة بها، وهذا مما يسَّر الانطلاق بالدعوة منها

(١) انظر «نظرات فى دراسة التاريخ الإسلامى» ص٨٠ ـ د. عبد الرحمن على الحجى.
(٢) نفس المرجع ص٨١.

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

إلى سائر البقاع.

كما أن وجود البيت الحرام الذى جعله الله مثابة للناس وأمنًا فى مكة المكرمة قد أضفى على هذه البقعة صفة العالمية، ولذلك سماها الله بأم القرى.

ومن حيث طبيعة السكان ساعدتهم البيئة الصحراوية ـ والجبال المحيطة بمكة خاصة ـ على عزلتهم وبعدهم عن المؤثرات الحضارية آنذاك، فهم فى أغلبهم أميون، وذلك من شأنه المعاونة فى عملية التغيير، كما ينفى أية ريبة أو شك فى صحة الرسالة وصدق حاملها حين يجدونه أميًا وقومه أميين.

يقول الدكتور محمد سعيد رمضان البوطى: «من تتمة الحكمة الإلهية أن تكون البيئة التى بعث فيها عليه الصلاة والسلام بيئة أمية بالنسبة للأمم الأخرى التى حولها، أى لم يتطرق إليها شىء من الحضارات المجاورة لها، ولم تتعقد مناهجها الفكرية بشىء من تلك الفلسفات التائهة من حولها.

ذلك أنه كما يُخْشى من دخول الريبة فى صدور الناس إذا ما رأوا النبى متعلمًا مطلعًا على الكتب القديمة وتاريخ الأمم البائدة وحضارات الدول المجاورة، كذلك يخشى من دخول هذه الريبة فى الصدور إذا ما ظهرت الدعوة الإسلامية بين أمة لها شأن فى الحضارة والمدنية والفلسفة وتاريخ ذلك، كدولة الفرس أو اليونان أو الرومان، إذ رب مرتاب مبطل يزعم أنها سلسلة التجارب الحضارية والأفكار الفلسفية أبدعت أخيرًا هذه الحضارة الفذة والتشريع الكامل»[1] اهـ.

كما أن طبيعة العربى بحكم هذه النشأة المائلة إلى البداوة قد غُرِست فيه فضائل وقيم وأخلاق لا تتوفر فى سكان الحضر، ومنها: الشجاعة، واحتمال المكاره، والرضا بالقليل، والكرم، وغير ذلك من الصفات التى أهلتهم لأن يكونوا الطليعة الأولى لحمل رسالة الإسلام والجهاد فى سبيلها، لإخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.

(١) فقه السيرة ص٢٥ ـ طبعة سابقة ـ سنة ١٩٧٨م ـ دار الفكر.

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

ومن حيث ما تتميز به اللغة العربية عن سائر اللغات نجد أن الواقع قد أثبت قدرة العربية على استيعاب الجديد من الثقافات والحضارات لما تتميز به من مرونة، تجعلها ـ إذا خُلِّى بينها وبين الناس ـ تكتسح جميع ما يعترضها أو يعوقها من لغات، ولذا فقد رافق انتشار الإسلام فى كثير من البلدان انتشار العربية، وتنازلت كثير من شعوب العالم عن لغاتها الأصلية، واستعملت العربية لغة لها، وبرع فى الكتابة والتأليف بها كثيرون من أهل هذه البلاد، ولا يزال أبناء العربية أنفسهم عالة على تراث هؤلاء فى اللغة والأدب إلى يومنا هذا[١].

(٢) طبيعة الإسلام، ودور العرب فى نشره:

لم يكن للأسباب المشار إليها سابقًا أية علاقة أو تدخل فى تحديد طبيعة رسالة الإسلام، وإنما أبانت عن الحكمة فى اختيار هذه البيئة دون سواها لتكون منطلقًا لرسالة الإسلام.

أما عن طبيعة الرسالة نفسها فقد دلت عليها نصوص القرآن الكريم وأحاديث النبى ﷺ وكلها تُجْمِعُ ـ منذ اليوم الأول ـ على أنها رسالة عالمية، لا تخص العرب وحدهم.

فقد أوردت كتب التاريخ والسيرة أن النبى ﷺ لما أُمِرَ بتبليغ الرسالة جمع قومه، وحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «إن الرائد[٢] لا يكذبُ أهله، والله لو كذبت الناس جميعًا ما كذبتكم، ولو غررت الناس جميعًا ما غررتكم. والله الذى لا إله إلا هو إنى لرسول الله إليكم خاصة، وإلى الناس كافة. والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعملون، ولتجزون بالإحسان إحسانًا، وبالسوء سوءًا، وإنها لجنة أبدًا، أو لنار أبدًا»[٣].

(٢) وللتأكيد على هذه الحقيقة تواردت الآيات القرآنية فى العديد من السور

(١) للترابط الشديد بين الإسلام واللغة العربية لاقت هذه اللغة ـ ولا تزال ـ حربًا شرسة من أعداء الله وأعوانهم بغية القضاء عليها، وصولاً إلى القضاء على الإسلام نفسه.

(٢) الرائد: المرسل لاختيار مكان النزول.

(٣) انظر «الكامل لابن الأثير» (٢/ ٢٧).

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

المكية تؤكد على عالمية الرسالة فى الوقت الذى لم يكن فيه النبى ﷺ وأصحابه آمنين على أنفسهم.

ففى سورة سبأ المكية يقول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ:٢٨].

وفى سورة الأعراف المكية يقول الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّى رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً...﴾ [الاعراف:١٥٨].

وفى سورة الفرقان المكية يقول الله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً﴾ [الفرقان:١].

وفى سورة الأنبياء المكية يقول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧].

وفى سورة ص المكية يقول رب العزة: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ [ص:٨٦ ـ ٨٨].

(٣) وإلى جانب هذه الآيات القرآنية حفلت السنة النبوية بأحاديث تؤكد على عالمية الرسالة، ونختار من هذه الأحاديث ما يلى:

قوله ﷺ: «أعطيت خمسًا لم يُعْطَهن أحد قبلى: كان كل نبى يُبعثُ إلى قومه خاصة، وبعثت إلى كل أحمر وأسود[١]، وأحلّت لى الغنائم ولم تحلّ لأحد قبلى، وجُعلتْ لى الأرض طيبة وطهوراً ومسجداً، فأيما رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان، ونُصِرْتُ بالرعب بين يدى مسيرة شهر، وأُعْطيتُ الشفاعة»[٢].

وقوله عليه الصلاة والسلام: «فُضِّلْتُ على الأنبياء بست: أُعطيت جوامع الكلم، ونُصرت بالرعب، وأُحلت لى الغنائم، وجعلت لى الأرض طهوراً

(١) يؤكد على هذه الحقيقة ما ورد فى كتاب الله تعالى من توجه كل نبى بالخطاب إلى قومه خاصة، فيقول الواحد منهم: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ فى حين أن نداء الرسول محمد ﷺ لم يخص قومًا دون قوم، بل يأتى النداء عامًا ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾.

(٢) متفق عليه.

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

ومسجداً، وأُرسلت إلى الخلق كافة، وخُتم بى النبيون»[١].

وقد كان من الطبيعى ـ وقد توجه النبى ﷺ أول ما توجه بدعوته إلى العرب ـ أن يكون أكثر أتباعه الأوائل منه، ولو فُرِضَ وكان انطلاق الإسلام من غير هذا المكان لكان أتباعه الأوائل منه.

وقد كان لهؤلاء العرب الأوائل فضل السبق إلى الإسلام، فارتوت بدمائهم شجرته، وأينعت بتضحياتهم ثمرته، وبفضلهم عمَّ نور الله على العالمين، وبسط الإسلام سلطانه على المشارق والمغارب، وما وصل النور إلى الأجيال التالية إلا بسببهم، وما دخل قوم فى الهداية إلا عن طريقهم، وما من مكرمة يعود فضلها إلى أحد من البشر ـ بعد رسول الله ﷺ ـ إلا والصحابة الأوائل ـ الذين كان معظمهم من العرب ـ يحوزون قصب السبق فيها، وقد عناهم الشاعر بقوله:

فما العز للإسلام إلا بفضلهم وما المجد إلا ما بنوه فشيدوا

وقد أثنى الله عليهم فى كثير من آيات القرآن الكريم، وأثنى عليهم نبيه فى كثير من أحاديثه، بل وشهد لهم أعداؤهم بفضلهم وإخلاصهم[٢].

لكن هؤلاء العرب لم يخطر ببالهم نصرة الإسلام باعتباره دعوة قومية، يحملون لواءها، ويغيرون على سائر الشعوب لإخضاعها وإذلالها، بل وجدوا عزَّهم وكرامتهم فى هذا الدين، فافتدوه بأموالهم وأرواحهم، ونطقت ألسنتهم بفضل الإسلام عليهم وليس العكس.

ويكفينا فى هذا قول سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه: «نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، فلا نطلب بغير الله بديلاً»[٣].

وقوله لأبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنهما: «إنكم كنتم أذل الناس، وأحقر الناس، وأقل الناس، فأعزكم الله بالإسلام، فمهما تطلبوا العز بغيره يذلكم الله»[٤].

(١) أخرجه مسلم (جـ١، ص٣٧١) كتاب المساجد ومواضع الصلاة ـ باب الترجمة.

(٢) يراجع بحثنا حول «أصحاب النبى ﷺ بين المقرين بفضلهم والجاحدين له» والمنشور بحولية كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة ـ سنة ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

(٣)، (٤) البداية والنهاية (جـ٧، ص٦٠) الحافظ ابن كثير.

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

(٤) الإسلام والدعوة إلى القومية:

على عكس ما يدَّعى أعداء الإسلام، ومن يدور فى فلكهم أن الإسلام دين العرب، والعروبة هى قومية المسلمين، نجد أن نصوص القرآن الكريم، وأحاديث النبى ﷺ لا تشير إلى مثل هذا من قريب أو من بعيد، بل تتحدث عن رابطة واحدة هى رابطة الإيمان والإسلام بين كافة المؤمنين بالله دون نظر إلى فوارق الجنس أو اللغة أو اللون أو غير ذلك.

نقرأ فى هذا قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ...﴾ [الحجرات: ١٠]، وقال أيضًا: ﴿وَإِنْ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً...﴾ [المؤمنون: ٥٢].

ولم يطلق عليهم سوى أنهم مسلمون، فقال: ﴿... هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ...﴾ [الحج: ٧٨].

وبيَّن أن علاقتهم بغيرهم - قربًا أو بعدًا - مرهونة بالتزامهم بتعاليم الإسلام وتنفيذهم لتعاليمه، وتوبتهم عن الكفر وإقلاعهم عنه، فقال: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ...﴾ [التوبة: ١١].

وعلى نفس المستوى جاءت توجيهات النبى ﷺ، فلم نجد فى سنته ما يشير إلى عصبية العربى لنظيره من العرب، أو إعلان لإعلاء الجنس العربى على سائر الأجناس، بل تحدث ﷺ عن سبب واحد يجمع بين المؤمنين به وهو الدين، فقال: «المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضًا»[١].

وهناك أدلة أخرى كثيرة استوفينا الحديث عنها فى مكان آخر، فليرجع إليها من أراد المزيد[٢].

فى الوقت نفسه حذَّر ﷺ من العصبية بشتى أشكالها وألوانها، ووصفها بأقبح الأوصاف، حين كادت تحدث مشكلة بين المهاجرين والأنصار، وتنادى كل فريق

---

(١) أخرجه البخارى (جـ٤، ص٥٥) كتاب الأدب - باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضًا، وأخرجه مسلم (جـ٤، ص١٩٩٩) كتاب البر والصلة والآداب - باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم.

(٢) يراجع كتاب «المسلمون وداء الفرقة» للمؤلف.

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

على فريقه لنصرته، فقال النبى ﷺ: «دعوها فإنها منتنة»[١].

وإلى جانب هذا التأصيل النظرى نجد الواقع يكذِّب هذا الادعاء، حيث حاولت قريش القضاء على الدعوة الإسلامية فى مهدها، وتعاونت مع كافة الأحزاب والاتجاهات للقضاء على الرسول ﷺ ـ بما فى ذلك التعاون مع اليهود ـ وذلك فى غزوة الأحزاب فى السنة الخامسة من الهجرة، وكان من بين أعادى الرسول ﷺ وأصحابه ذوو الصلة القريبة بهم من الآباء والأقارب.

فأين ما يدَّعيه هؤلاء من عصبية العرب للإسلام بدافع القومية المزعومة؟

فى الوقت ذاته كان من أوائل من أسلم أُناس من غير العرب كبلال الحبشى وصهيب الرومى وسلمان الفارسى، واستمرت دعوة الإسلام تفتح صدرها لكل من أراد الإيمان بها، حتى غدا المسلمون من غير العرب يفوقون فى أعدادهم المسلمين من العرب، وتشكلت حضارة الإسلام فى شتى المجالات من تعاون كافة الشعوب الإسلامية دون تفريق بين عربى وغير عربى.

يقول مونتجمرى وات: «إن فكرة الأمة كما جاء بها الإسلام هى الفكرة البديعة التى لم يُسبَق إليها، ولم تزل إلى هذا الزمن ينبوعًا لكل فيض من فيوض الإيمان، يدفع المسلمين إلى الوحدة فى أمة واحدة، تختفى فيها حواجز الأجناس واللغات وعصبيات النسب والسلالة. وقد تفرَّد الإسلام بخلق هذه الوحدة بين أتباعه، فاشتملت أمته على أقوام من العرب والفرس والهنود والصينيين والمغول والبربر والسود والبيض على تباعد الأقطار، وتفاوت المصالح...»[٢].

فلو كانت فى دعوة الإسلام أدنى رائحة لعصبية أو قومية لما شهد هذا الإقبال وتلكم التضحيات، ولكنها محاولات أعداء الله لتشويه صورة الإسلام، والله متم نوره ولو كره الكافرون.

* * *

(١) أخرجه البخارى (جـ٣، ص٢٠٣) كتاب تفسير القرآن ـ باب سورة المنافقون.
(٢) قالوا عن الإسلام ص٢٥٥ ـ د. عماد الدين خليل.

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

المبحث الرابع

الأسباب الخارجية وعلاقتها بانتشار الإسلام

(١) حين ظهرت دعوة الإسلام كان هناك تخبط وتيه فى شتى المجالات، وكانت الشعوب تئن تحت وطأة الفساد السياسى والظلم الاجتماعى، وبخاصة فى الدولتين الكبيرتين آنذاك.

وقد توجه المسلمون بدعوتهم إلى تلك الشعوب، فوجدت فى الإسلام ودعوته مركب الإنقاذ، ووجدت فى تعاليمه ضالتها وهدايتها.

وقد مهدت هذه الأسباب الخارجية لانتشار الإسلام، وساعدت على سرعة استجابة الشعوب له.

(٢) لكن أعداء الإسلام يضخّمون من دور هذه الأسباب الخارجية، ويزعمون أن الإسلام لم يكن يملك من المقومات والصلاحيات ما يدعو إلى اعتناقه والدخول فيه، ولكن محبة الشعوب للتخلص من الأوضاع التى كانت تعيشها حملهم على قبوله دون تفكير أو نظر.

وهذا قول يحتوى على مغالطة كبيرة، وتنقضه شواهد التاريخ.

ومن خلال الملاحظات التالية ندرك خطأ هذا الرأى:

(أ) اعتناق التتار الذين انقضوا على العالم الإسلامى - بكل قوتهم - لمبادئ هذا الدين، فى الوقت الذى كان المسلمون فيه ضعافًا، وسلطتهم واهية، وتكررت هذه الظاهرة مع الأتراك كذلك.

(ب) إقبال الناس على اعتناق الإسلام فى المناطق التى يتواجد فيها دعاة مسلمون، إلى جانب مبشرين مسيحيين، إذ فى الوقت الذى تغدق فيه الدول المسيحية العطاء على من يتنصّرون، وتغرق بلادهم بالمنشآت والمؤسسات لا تلقى

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

فيه بعثاتهم من النجاح ما يلاقيه الداعية المسلم المجرّد من أى إغراء مادى، أو مطمع دنيوى.

(ج) إن الادعاء بأن الأسباب الخارجية هى العامل الرئيسى فى نجاح المسلمين فى إقامة دولتهم، كان من الممكن أن يصحّ، لو لم يقدم المسلمون لهذا العالم المنهار أسس حضارة جديدة، لكن الواقع يشهد بأن المسلمين كانوا روادًا لحضارة عظيمة، سادت العالم كله، فتركت بصماتها عليه رغم غياب المسلمين عن موقع الصدارة.

يقول إبراهيم خليل أحمد ـ والذى كان نصرانيًا فأسلم ـ: «إن أثر العرب والإسلام فى تاريخ العصور الوسطى لا يقف عند حد التغييرات السياسية التى أحدثوها فى أوضاع العالم المعروف، بل يبدو هذا الأثر أشد ما يكون وضوحًا فى الميدان الحضارى»[1].

ويقول إدوار بروى: «انجلى غبار الفتح الإسلامى عن إمبراطورية جديدة ولا أوسع، وعن حضارة ولا أسطع وعند مدنية ولا أروع، عول عليها الغرب فى تطوره الصاعد ورقيه البناء»[2].

وفى ضوء ما تقدم ندرك تفاهة مَن ينسب نجاح الدعوة الإسلامية للأسباب الخارجية كليّة، محاولاً بذلك تجريد الإسلام من أية صلاحيات ذاتية، ونافيًا ـ حسب زعمه ـ ما يقول به المسلمون من أن الله أعانهم، وأيّد خطواتهم.

وقد قدمنا فى الفصل الأول من هذا البحث صورة لما جاء به الإسلام فى مجالات: العقيدة، والعبادة، والشريعة، والأخلاق، مقارنًا بما كان سائدًا آنذاك، مما جعل الشعوب تقبل عليه بكليتها، وترجو من ورائه تحقيق آمالها، وتركت وراء ظهرها ما ألفته فى جاهليتها، وما اعتادته فى سابق عهدها، وهو ما شهد به المنصفون من كتّاب الغرب.

(١) قالوا عن الإسلام ص٣٣١ د. عماد الدين خليل.
(٢) نفس المرجع ص٣٤٢.

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

يقول توماس أرنولد: «نرى من أسباب الترحيب الحار الذى لقيه محمد ﷺ فى المدينة أن الدخول فى الإسلام قد بدا للطبقة المستنيرة من أهالى المدينة علاجًا لهذه الفوضى التى كان المجتمع يقاسيها، وذلك لما وجدوه فى الإسلام من تنظيم محكم للحياة، وإخضاع أهواء الناس الجامحة لقوانين منظمة، قد شرعتها سلطة تسمو على الأهواء الفردية»[1].

* * *

(١) الدعوة إلى الإسلام ص٤٣.

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

خاتمة

بعد هذه الدراسة التى استهدفت عرضًا لبعض جوانب التاريخ الإسلامى، أعود فأقول:

إن المسلمين الذين كانوا فيما مضى قادة العالم وأئمة البشرية، قد تخلوا - فى العصر الحديث - عن كثيرٍ من تعاليم دينهم، فأفسحوا المجال لآخرين كى يتصدروا ويسودوا، وصار المسلمون ذيولاً بعد أن كانوا رءوسًا، وتابعين بعد أن كانوا متبوعين.

وفى ظل هذه التبعية فَرَضَ عليهم أعداؤه ما شاءوا، فغزوهم فكريًا، ودمروهم أخلاقيًا واجتماعيًا، وهدموهم اقتصاديًا، ومزقوهم سياسيًا.

وقد ساعد هؤلاء الأعداء ما لديهم من إمكانات مادية، وقدرات وابتكارات، إلى جانب سيطرتهم على الإعلام العالمى، وخضوع المنظمات الدولية لأهوائهم ومصالحهم، لكن أهم العوامل هو تخلى المسلمين عن دينهم، وصدق الله فى قوله: ﴿وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا...﴾ [آل عمران: ١٢٠].

ومع قتامة الصورة - على النحو الذى ذكرت - إلا أن المستقبل يبشر بخير للإسلام والمسلمين.

ففى الوقت الذى تحرص فيه دول الكفر - ومن يشايعهم - على محاربة الإسلام، وتهميش دوره فى الحياة، نجد كثيرًا من أبناء العالم الإسلامى يعيدون صلتهم بدينهم، وانتشرت كثير من مظاهر هذه العودة فى جميع الأقطار، وعلى كافة المستويات، مما ينبئ عن أن الغد سيكون أفضل بإذن الله للإسلام والمسلمين. وسوف يصدق ما أخبر به الحبيب المصطفى ﷺ من أن أمر المسلمين سيؤول إلى خلافة راشدة يرضى عنها ساكن الأرض وساكن السماء، بعد أن تكون الأنظمة الدنيوية قد شرقت بهم وغربت، ما بين ملك عضوض وحكم جبرى.

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

ومن جانب آخر نرى من ملكوا أزمة الأمور فى العصر الحاضر، نرى حضارتهم تتلاشى، ومدنيتهم ينخر السوس فى عظامها؛ لأنها قامت على أساس الكفر والظلم واستعباد الشعوب، فسقط جناحها الشرقى الشيوعى، وجناحها الغربى الرأسمالى فى طريقه إلى السقوط كذلك، وتلك سنة الله: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الرعد:١٧].

فعلى المسلمين أن يوقنوا بأنه لا صلاح لهم إلا فى دينهم، ولا سعادة لهم إلا فى شريعتهم، وأنهم - حين يقصِّرون فى الالتزام بهذا الدين، وتلك الشريعة - يظلمون أنفسهم، ويظلمون كافة الشعوب التى تحيا على وجه الأرض، وهى أحوج ما تكون إلى دعوتهم وعدالتهم.

ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين، ونجنا برحمتك من القوم الكافرين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المؤلف

أستاذ دكتور/ طلعت محمد عفيفى سالم

عميد كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

المراجع

* القرآن الكريم.

١ ـ الأصول الفكرية للثقافة الإسلامية، د. محمود الخالدى ـ دار الفكر للنشر والتوزيع.

٢ ـ الأحكام السلطانية محمد بن الحسن الفراء. تعليق محمد حامد الفقى ـ دار الكتب العلمية بيروت وطبعة مصطفى البابى الحلبى ـ الطبعة الثانية ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م.

٣ ـ الإسلام والتحديات فى الانحطاط المعاصر، منير شفيق.

٤ ـ الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر. د. محمد محمد حسين ـ طبعة القاهرة ـ ١٩٨٠م.

٥ ـ أساليب الغزو الفكرى. على جريشة، طبعة ثانية، دار الاعتصام. والطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

٦ ـ أجنحة المكر الثلاثة ـ عبد الرحمن حنبكة الميدانى ـ طبعة بيروت ـ دار العلم ـ ١٩٧٧م.

٧ ـ الإسلام والعالم المعاصر ـ أنور الجندى ـ دار الكتاب اللبنانى ـ الطبعة الثانية ـ ١٩٨٠م.

٨ ـ الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة العثمانية ـ د. مصطفى حلمى ـ دار الدعوة ـ إسكندرية ـ طبعة أولى ـ ١٩٨٥م ـ ١٤٠٥هـ.

٩ ـ الإسلام وأصول الحكم. ممدوح حقى ـ دار مكتبة الحياة ـ بيروت ـ ١٩٧٨م.

١٠ ـ الإسلام وأصول الحكم ـ الشيخ على عبد الرازق ـ مطبعة مصر ـ ١٣٤٣هـ ـ ١٩٢٥م ـ طبعة أولى.

١١ ـ أوراق ثقافية فى الرد على العلمانية ـ د. محمد يحيى. الزهراء للإعلام العربى ـ طبعة أولى ـ ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

١٢ ـ الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة. عبد الله الدميجى ـ دار طيبة للنشر والتوزيع. ط أولى ـ ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م الرياض.

١٣ ـ أصول الدعوة عبد الكريم زيدان ـ ط ثالثة ـ ١٣٩٦هـ ـ المنار الإسلامية.

١٤ ـ الأحكام السلطانية للماوردى ـ الطبعة الثالثة ـ ١٣٩٣هـ ـ مصطفى الحلبى ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ سنة ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م.

١٥ ـ أدب الخلفاء الراشدين ـ جابر قميعة ـ دار الكتب الإسلامية ـ القاهرة.

١٦ ـ الإسلام قوة الغد العالمية ـ باول شمتز ـ ترجمة د. محمد شامة ـ مكتبة وهبة.

١٧ ـ الإيمان ـ د. عبد الكريم الزندانى وآخرون ـ دار العلم ـ بيروت.

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

١٨ ـ الإسلام والسياسة. د. محمد عمارة ـ إصدار مجمع البحوث الإسلامية ـ ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.
١٩ ـ أصول الدعوة د. عبد الكريم زيدان.
٢٠ ـ أضواء على الثقافة الإسلامية ـ نادية شريف العمرى ـ مؤسسة الرسالة ـ ١٤٠٦هـ ـ بيروت.
٢١ ـ الإسلام والحضارة العربية ـ أ. محمد كرد على. لجنة التأليف والترجمة ـ ط ثالثة ١٩٦٨م.
٢٢ ـ الإسلام فى وجه التغريب ـ أنور الجندى ـ ط أولى دار الاعتصام ـ القاهرة.
٢٣ ـ الإسلام يتحدى د. وحيد الدين خان ـ دار المختار الإسلامى ـ ١٣٩٧هـ.
٢٤ ـ ألم يأن للسوق الإسلامية المشتركة أن ترى النور ـ د. محمد بابللى بحث مقدم لندوة جامعة الأزهر مركز صالح عبد الله تحت عنوان نحو إقامة سوق إسلامية مشتركة ـ القاهرة ـ ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.
٢٥ ـ الإسلام فى مواجهة التحديات د. محمد رأفت سعيد ـ دار الوفاء ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.
٢٦ ـ أباطيل وأسمار ـ محمود محمد شاكر الطبعة الأولى ١٩٦٥م ـ والطبعة الثانية ١٩٧٢م ـ مطبعة المدنى.
٢٧ ـ الإسلام والخلافة فى العصر الحديث ـ محمد ضياء الدين الريس ـ دار التراث القاهرة ـ ١٩٧٦م.
٢٨ ـ الإسلام والخلافة د. على حسن الخربوطلى ـ دار بيروت ـ ١٩٨٦م.
٢٩ ـ الإيمان والحياة د. يوسف القرضاوى ـ مكتبة وهبة.
٣٠ ـ البهائية تاريخها وعقيدتها ـ عبد الرحمن الوكيل ـ جدة ـ الطبعة الثانية ـ ١٣٨٧هـ.
٣١ ـ البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ طبعة الريان ـ وطبعة أخرى دار الفكر العربى ـ الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ.
٣٢ ـ البيعة فى النظام السياسى الإسلامى ـ أحمد صديق عبد الرحمن ـ من مكتبة وهبة ـ ط أولى ـ ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م ـ القاهرة.
٣٣ ـ بدائع السلك فى طبائع الملك ـ أبى عبد الله الأزرق ـ تحقيق على سامى النشار. منشورات وزارة الإعلام العراقية ١٩٧٧م.
٣٤ ـ تاريخ الدولة العثمانية د. على حسون ـ المكتب الإسلامى ـ الطبعة الثالثة ـ ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
٣٥ ـ تباشير النهضة فى العالم الإسلامى د. محمد ضياء الدين الريس ـ دار الأنصار ـ القاهرة ـ دار الدعوة للطباعة والنشر ـ القاهرة ـ طبعة ثالثة ١٤٠١هـ.

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

٣٦ ـ تاريخ اللغة وصحاح العربية ـ للعلامة إسماعيل بن حماد الجوهرى ـ ١٣٥٦هـ ـ طبعة دار العلم للملايين بيروت.
٣٧ ـ تاج العروس من جواهر القاموس المطبعة الخيرية مصر ـ ١٣٠٦هـ ـ محمد مرتضى الزبيدى ـ دار مكتبة الحياة ـ بيروت ـ لبنان.
٣٨ ـ التكامل الاقتصادى الإسلامى د. رفعت سيد العوضى دار المنار للنشر والتوزيع ـ القاهرة ـ طبعة أولى ـ ١٤٠٩هـ ـ ١٩٧٩م.
٣٩ ـ التضامن الإسلامى فى المجال الاقتصادى د. غريب الجمال ـ طبعة أولى ـ دار الشريف ١٩٧٧م ـ ١٣٩٧هـ.
٤٠ ـ التاريخ الأندلسى ـ عبد الرحمن الحجى ـ دار الاعتصام ـ ط أولى ـ ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
٤١ ـ تجديد الفكر الدينى فى الإسلام ـ محمد إقبال ـ ترجمة: عباس محمود ـ لجنة التأليف والنشر ـ القاهرة ـ الطبعة الثانية ١٩٦٨م.
٤٢ ـ التاريخ الإسلامى المعاصر ـ على إبراهيم ـ مكتبة النهضة المصرية ـ الطبعة الثانية ـ ١٩٨٢م.
٤٣ ـ تاريخ الدولة العلية العثمانية ـ محمد فريد بك ـ دار النفائس ـ طبعة أولى ـ ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.
٤٤ ـ التاريخ الإسلامى ـ الدولة العباسية ـ محمود شاكر ـ المكتبة الإسلامية.
٤٥ ـ تاريخ عصر الخلافة العباسية. يوسف العش ـ دار الفكر ـ دمشق ط أولى ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.
٤٦ ـ تاريخ المذاهب الإسلامية ـ لأبى زهرة ـ دار الفكر العربى.
٤٧ ـ تفسير ابن كثير ـ ط دار الشعب ـ تحقيق محمد إبراهيم البنا، ومحمد أحمد عاشور، وعبد العزيز غنيم.
٤٨ ـ تفسير الطبرى ـ تحقيق أحمد شاكر ـ جامع البيان. عن تاويل آى القرآن لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ـ الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ ـ مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى ـ القاهرة ـ نسخة أخرى تحقيق أحمد شاكر دار المعارف ـ مصر.
٤٩ ـ تهافت العلمانية فى الصحافة العربية. المستشار سالم على البهنساوى ـ الطبعة الأولى ـ ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م ـ دار الوفاء.
٥٠ ـ تهافت العلمانية د. عماد الدين خليل ـ مؤسسة الرسالة ـ طبعة سادسة ـ ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م.
٥١ ـ تجديد فى المسلمين لا فى الإسلام د. عمر فروخ.

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

٥٢ ـ تاريخ الخلفاء جلال الدين السيوطى ـ المكتبة التجارية الكبرى ـ الطبعة الرابعة ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م، وطبعة أولى تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ـ مطبعة دار السعادة ـ مصر.
٥٣ ـ التبشير والاستعمار فى البلاد العربية. د. مصطفى الخالدى وعمرو فروخ، المكتبة العصرية ـ الطبعة الأولى.
٥٤ ـ التبشير والاستشراق أحقاد وحملات، المستشار محمد عزت الطهطاوى ـ مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية ـ ١٣٨٧هـ ـ ١٩٧٧م.
٥٥ ـ التاريخ الإسلامى ـ حسن إبراهيم ـ مكتبة النهضة المصرية.
٥٦ ـ ثقافة الداعية ـ د. يوسف القرضاوى ـ مكتبة وهبة.
٥٧ ـ جوانب مضيئة فى تاريخ الأتراك العثمانيين ـ زياد أبو غنيمة ـ ١٩٨٣م ـ عمان.
٥٨ ـ جغرافية العالم الإسلامى. أ.د. محمود أبو العلا ـ ١٩٨٦م ـ مكتبة الفلاح بالكويت ـ الطبعة الثالثة ـ ١٤٠٦هـ.
٥٩ ـ جند الله ثقافة وأخلاق. سعيد حوى ـ مكتبة وهبة الطبعة الأولى. وطبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت ط ثانية بدون تاريخ.
٦٠ ـ جامع العلوم والحكم ـ ابن رجب الحنبلى ـ مكتبة الدعوة الإسلامية.
٦١ ـ الجامع لاحكام القرآن ـ الإمام أبو عبد الله بن محمد بن أحمد القرطبى ـ ط٣ ـ دار القلم ودار الريان للتراث.
٦٢ ـ جغرافية العالم الإسلامى. د. أحمد شتلة ـ مكتبة الوادى الجديد السعودية ١٩٨٦م.
٦٣ ـ حاضر العالم الإسلامى ـ على جريشة ـ مكتبة وهبة ـ الطبعة الرابعة ـ ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.
٦٤ ـ حاضر العالم الإسلامى ـ الأمير شكيب أرسلان ـ ج١ (تعليق) دار الفكر العربى ـ بيروت.
٦٥ ـ حركة اليقظة العربية فى الفكر الآسيوى ـ محمد صالح منسى ـ دار الفكر ـ القاهرة ـ سنة ١٩٧٨م.
٦٦ ـ الحسبة لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ ط أولى ١٩٧٦م ـ دار الشعب ـ تحقيق صلاح عزام.
٦٧ ـ حقيقة الإسلام وأصول الحكم الشيخ محمد نجيب المطيعى ـ المطبعة السلفية ـ القاهرة ـ ١٣٤٤هـ.
٦٨ ـ الحقيقة الغائبة ـ فرج فودة ـ الهيئة العامة للكتاب ـ القاهرة ـ سنة ١٩٩٢م.
٦٩ ـ حقيقة العلمانية بين الخرافة والتخريف أ.د. يحيى هاشم حسن ـ إصدار الأمانة العامة بالأزهر الشريف ـ دار الصابونى للطبع والنشر ـ القاهرة.

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

٧٠ ـ الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا ـ ١٣٠٧هـ ـ ١٩٧٧م ـ د. يوسف القرضاوى ـ طبعة مكتبة وهبة ـ الطبعة الثالثة ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م.
٧١ ـ الحكومة الإسلامية ـ للإمام أبو الأعلى المودودى ـ ترجمة أحمد إدريس ـ نشر المختار الإسلامى ـ الطبعة الثانية ـ ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.
٧٢ ـ الخصائص العامة للإسلام ـ د. يوسف القرضاوى.
٧٣ ـ الخطر الأكبر على العالم الإسلامى ـ أبو الحسن الندوى ـ دار الصحوة ـ ط أولى ـ ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.
٧٤ ـ خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية ـ الأستاذ عبد الله التل ـ المكتب الإسلامى ـ ط٢ ـ ١٣١٩هـ ـ ١٩٧٩م.
٧٥ ـ الخطر اليهودى ـ ترجمة محمد خليفة التونسى.
٧٦ ـ الخلافة والخلفاء الراشدين ـ المستشار سالم البهنساوى ـ الزهراء للإعلام العربى ـ ط أولى ـ ١٩٩١م.
٧٧ ـ الخلافة فى الحضارة الإسلامية ـ د. أحمد رمضان ـ دار البيان العربى ـ الطبعة الأولى ـ ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
٧٨ ـ الخليفة، توليته وعزله ـ د. صلاح الدين دبوس ـ جامعة الإسكندرية ـ مؤسسة الثقافة الجامعية بالإسكندرية.
٧٩ ـ الخلافة والدولة ـ محمد حلمى محمد أحمد ـ مكتبة نهضة مصر ـ مطبعة الرسالة ـ ١٩٥٩م.
٨٠ ـ خلق المسلم ـ الشيخ الغزالى.
٨١ ـ دور يهود الدونمة فى إسقاط الخلافة ـ د. محمد محمد إبراهيم زعروت ـ دار التوزيع والنشر الإسلامية ـ بدون رقم الطبع أو التاريخ.
٨٢ ـ دفاع عن العقيدة والشريعة ـ الشيخ محمد الغزالى ـ مطبعة حسان ـ ١٩٨٤م ـ ١٣٠٥هـ ـ وطبعة دار الكتب الحديثة ـ الطبعة الرابعة ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.
٨٣ ـ دفاع عن تاريخ الإسلام ـ أنور الجندى ـ المجلد الثانى ـ دار الأنصار.
٨٤ ـ دعوة التقريب من خلال رسائل الإسلام ـ محمد تقى القمى ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ جمعه وأشرف على تقديمه إلى المجلس محمد محمد المدنى ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م ـ دار التحرير للطبع والنشر.
٨٥ ـ دائرة المعارف ـ ج١١ ـ المعلم بطرس البستان ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان.
٨٦ ـ دحض الشبهات ومفتريات حول الإسلام ـ عبد المنصف محمود عبد الفتاح من مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية ـ ١٣٠٥هـ ـ ١٩٨٤م.

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

٨٩ ـ الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر ـ الشيخ محمد الغزالى ـ طبعة أولى ـ ذات السلاسل ـ ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.
٩٠ ـ دائرة المعارف الإسلامية ـ الأستاذ/ أحمد الشناوى، الأستاذ/ عبد الحميد طه، الأستاذ/ إبراهيم زكى ـ دار الشعب للطباعة.
٩١ ـ دولة الإسلام ـ الحافظ شمس الدين الذهبى ـ تحقيق فهيم محمود شلتوت، ومحمد مصطفى إبراهيم ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٩٢ ـ الدين ـ د. محمد عبد الله دراز ـ مطبعة السعادة.
٩٣ ـ الذئب الأغبر «مصطفى كمال» ـ هـ. س. أرمسترونج ـ دار الهلال.
٩٤ ـ الرجل الصنم ـ ترجمة عبد الله عبد الرحمن مؤسسة الرسالة ـ الطبعة الرابعة ـ ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.
٩٥ ـ رسالة التعاليم من مجموعة رسائل الشهيد حسن البنا ـ دار الوفاء.
٩٦ ـ رئاسة الدولة فى الفقه الإسلامى ـ د. محمد رأفت عثمان ـ دار الكتاب الجامعى سيد محمود وشركاه ـ ١٩٧٥م ـ ومطبعة السعادة.
٩٧ ـ السلطان عبد الحميد الثانى آخر السلاطين العثمانيين الكبار ـ د. محمد حرب ـ دار العلم ـ دمشق.
٩٨ ـ سقوط العلمانية ـ أنور الجندى ـ دار الكتاب اللبنانى.
٩٩ ـ سيرة ابن هشام ـ ج٢ ـ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ـ المكتبة التجارية ـ طبعة الحلبى ـ ١٣٥٠هـ ـ ١٩٣٠م.
١٠٠ ـ السنة النبوية فى مواجهة التحدى من مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية ـ ١٤٠١هـ ـ ١٩٨٠م.
١٠١ ـ السوق الإسلامية المشتركة ـ محمود محمد بابللى ـ دار الكتاب اللبنانى ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ـ ١٩٧٥م ـ وطبعة الهيئة الملكية بالرياض ـ ١٤٠٢هـ.
١٠٢ ـ السوق الإسلامية المشتركة ـ عميد إبراهيم صابر عبد الفتاح ـ مؤتمر مركز عبد الله صالح ـ جامعة الأزهر.
١٠٣ ـ السياسة الشرعية فى إصلاح الراعى والرعية ـ شيخ الإسلام ابن تيمية ـ تحقيق/ محمد إبراهيم البنا ـ محمد أحمد عاشور ـ دار الشعب ـ ١٩٧١م ـ وطبعة دار الكتب العربية ـ بيروت ـ ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م.
١٠٤ ـ سيرة ابن هشام ـ المكتبة التوفيقية بالأزهر.
١٠٥ ـ الشباب المسلم فى مواجهة التحديات ـ الدكتور عبد الله ناصح علوان ـ دار القلم ـ بيروت.

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

١٠٦ ـ صيغة مقترحة للتكامل الاقتصادى بين بلدان العالم الإسلامى ـ د. عبد العليم عبد الرحمن خضر ـ عالم المعرفة ـ ط أولى ـ جدة ـ ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
١٠٧ ـ صور استشراقية ـ عبد الجليل شلبى ـ الكتاب الأول ـ من مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية ـ ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.
١٠٨ ـ الصهيونية العالمية ـ الأستاذ عباس العقاد ـ ضمن المجموعة الكاملة للمؤلف ـ المجلد الرابع عشر ـ القصائد والمذاهب ـ دار الكتاب اللبنانى ـ بيروت.
١٠٩ ـ الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم ـ الدكتور يوسف القرضاوى ـ دار الوفاء ـ ط أولى ـ ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.
١١٠ ـ طبقات المعتزلة ـ القاضى عبد الجبار أحمد الهمذانى ـ تحقيق على سامى، عصام الدين محمد على ـ المطبوعات الجامعية ـ ١٩٧٢م.
١١١ ـ الطبقات الكبرى لابن سعد ـ دار التحرير للطبع والنشر.
١١٢ ـ ظلام من الغرب ـ الشيخ محمد الغزالى ـ دار الاعتصام.
١١٣ ـ العالم الإسلامى المعاصر ـ جمال حمدان ـ عالم الكتب ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م ـ القاهرة.
١١٤ ـ العلمانية ونهضتنا الحديثة ـ د. محمد عمارة ـ ط أولى ـ دار الشروق ـ ١٩٨٦م.
١١٥ ـ العقيدة والشريعة ـ جولد تسيهر ـ ترجمة عادل زعيتر.
١١٦ ـ العواص من القواصم لأبى بكر بن العربى المالكى ـ تحقيق محب الدين الخطيب ـ دار الكتب السلفية.
١١٧ ـ العالم الإسلامى ومحاولة السيطرة عليه ـ الأستاذ محمود شاكر ـ المكتب الإسلامى ـ الطبعة الثالثة ـ ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٤م.
١١٨ ـ العالم الإسلامى والمكائد الدولية ـ فتحى يكن ـ مؤسسة الرسالة ـ الطبعة الثانية ـ ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٣م.
١١٩ ـ عوامل الإنتاج فى الاقتصاد الإسلامى ـ حمزة الجميعى الدموهى ـ دار الطباعة والنشر الإسلامية ـ دار الأنصار.
١٢٠ ـ غياث الأمم فى التياث الظلم لأبى المعالى الجوينى ـ طبعة أولى ـ ١٤٠٠هـ ـ دار العدوة بالإسكندرية ـ تحقيق د. مصطفى حلمى، وفؤاد عبد المنعم.
١٢١ ـ الغارة على العالم الإسلامى ـ آل شاتليه ـ ترجمة محب الدين الخطيب ـ المطبعة السلفية ـ الطبعة الرابعة ـ ١٣٩٨هـ.
١٢٢ ـ الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام ـ د. عبد الحليم محمود جامعة الإمام ـ ١٤٠١هـ.
١٢٣ ـ فقه الشورى والاستشارة ـ توفيق الشاوى ـ دار الوفاء ـ ط أولى.

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

١٢٤ ـ فقه الخلافة وتطورها ـ د. عبد الرازق السنهورى ـ تعليق د. توفيق الشاوى ـ الطبعة الثانية ـ الهيئة العامة للكتاب ـ ١٩٧٣م.
١٢٥ ـ الفصل لابن حزم ـ ج٤ ـ القاهرة ـ ١٩٢٨م ـ مطبعة دار الكتب المصرية ـ ١٩٤١م.
١٢٦ ـ فتح البارى ابن حجر العسقلانى ـ الطبعة السلفية ـ وطبعة الريان ـ وطبعة مكتبة الكليات الأزهرية ـ القاهرة ـ ١٩٧٨م.
١٢٧ ـ الفخرى فى الآداب السلطانية ـ محمد بن على بن محمد بن طباطبا المعروف بابن الكلفى ـ شركة طبع الكتب العربية ـ مصر ١٣١٧هـ.
١٢٨ ـ فلسفة الاستشراق وأثرها فى الأدب العربى المعاصر ـ أحمد سمايلوفتش ـ مطابع دار المعارف ـ القاهرة ـ بدون رقم طبع.
١٢٩ ـ قالوا عن الإسلام ـ د. عماد هيكل ـ الندوة العالمية للشباب المسلم بالرياض.
١٣٠ ـ قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام وأبيدوا أهله ـ جلال العالم ـ دار السلام.
١٣١ ـ قذائف الحق ـ الشيخ محمد الغزالى ـ ذات السلاسل ـ ١٩٨٤م ـ طبعة خامسة.
١٣٢ ـ الكامل فى التاريخ لابن الأثير ـ دار صادر ـ بيروت ـ سنة ١٩٧٩م.
١٣٣ ـ لسان العرب ـ ابن منظور ـ دار المعارف ـ وطبعة بيروت ـ ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٦م.
١٣٤ ـ ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ـ أبو الحسن الندوى ـ دار القلم ـ الكويت.
١٣٥ ـ مستقبل الثقافة فى مصر ـ طبعة القاهرة ـ ١٩٣٨م ـ طه حسين.
١٣٦ ـ المؤامرة على إسقاط الخلافة ـ د. فهمى الشناوى ـ كتاب المختار الإسلامى.
١٣٧ ـ منهاج السنة ـ ابن تيمية ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان.
١٣٨ ـ المقومات الجغرافية للسوق الإسلامية المشتركة ـ د. يحيى دسوقى عطية ـ بحث مقدم إلى الندوة الدولية نحو إقامة سوق إسلامية مشتركة ـ بمركز صالح عبد الله جامعة الأزهر ـ من ٤/ ٥/ ١٩٩١ حتى ٦/ ٥/ ١٩٩١م.
١٣٩ ـ موقف الدولة العثمانية من مطامع اليهود فى فلسطين ـ د. ليلى عبد اللطيف أحمد.
١٤٠ ـ المسألة الشرقية ـ محمود ثابت الشاذلى ـ الطبعة الأولى ـ ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م ـ مكتبة وهبة.
١٤١ ـ مذكرات السلطان عبد الحميد ـ دار الأنصار ـ ١٩٨٧م ـ تعليق د. محمد حرب.
١٤٢ ـ موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية ـ حسان على حلاق ـ جامعة بيروت.
١٤٣ ـ معالم السنن ـ أحمد محمد الخطابى ـ مجلد ١٤ ـ المكتبة العالمية ـ طبعة أولى ـ١٣٥٢هـ ـ ١٩٣٤م ـ طبعة ثانية ـ ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

١٤٤ ـ المنتقى من منهاج الاعتدال فى رفض كلام أهل السنة والاعتزال ـ شيخ الإسلام ابن تيمية ـ اختصره الحافظ أبو عبد الله محمد بن عثمان الذهبى ـ وتحقيق محب الدين الخطيب.

١٤٥ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر ـ المسعودى ـ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ـ دار الفكر العربى ـ الطبعة الخامسة ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م.

١٤٦ ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل ـ المكتب الإسلامى للطبع والنشر ـ دار صادر للطباعة والنشر ـ بيروت ـ بدون تاريخ.

١٤٧ ـ المواقف فى علم الكلام ـ عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجى ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ وطبعة مطبعة السعادة بمصر ـ ١٣٢٥هـ ـ ومكتبة المتنبى ـ القاهرة.

١٤٨ ـ مقدمة ابن خلدون ـ الطبعة الرابعة ـ ١٣٩٨هـ ـ نشر دار الحضارة للنشر والتوزيع ـ مكة ـ وطبعة دار العودة ـ بيروت ـ ١٩٨١م.

١٤٩ ـ مآثر الإناقة فى معالم الخلافة ـ ج١ ـ القلقشندى المتوفى ٨٢٠هـ ـ دار عالم الكتب ـ بيروت ـ طبعة ثانية ـ ١٣٠٨هـ.

١٥٠ ـ مجموعة فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ـ جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد قاسم العاصمى النجدى الحنبلى ـ مكتبة ابن تيمية للطبع والنشر ـ المكتبة السلفية.

١٥١ ـ مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ـ أبو الحسن الأشعرى ـ ط٢ ـ ١٣٨٩هـ ـ مكتبة النهضة.

١٥٢ ـ الفصل فى الملل والأهواء والنحل ـ ابن حزم ج٤ ـ دار المعارف للطبع والنشر ـ الطبعة الثانية ـ ١٣٩٥هـ ـ بيروت ومكتبة السلام العالمية.

١٥٣ ـ منهاج السنة النبوية ـ لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

١٥٤ ـ المذهب الاقتصادى فى الإسلام ـ د. محمد شوقى الفنجرى ـ الهيئة العامة للكتاب ـ ١٩٨٦م.

١٥٥ ـ المفردات فى غريب القرآن ـ الراغب الأصفهانى ـ دار المعرفة.

١٥٦ ـ محاضرات فى تاريخ الأمم الإسلامية ـ الشيخ محمد الخضرى بك ـ المكتبة التجارية الكبرى بمصر ـ ١٩٧٠م ـ بدون رقم طبع.

١٥٧ ـ النكير على منكرى النعمة ـ مصطفى صبرى ـ دار القادرى للطباعة والنشر ـ ط أولى ـ ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م ـ بيروت.

١٥٨ ـ نظام الخلافة بين أهل السنة والشيعة ـ ط أولى ـ سنة ١٤٠٨هـ ـ سنة ١٩٨٨م ـ دار الدعوة ـ الإسكندرية ـ مصطفى حلمى.

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

١٥٩ ـ نكبة الأمة العربية بسقوط الخلافة العثمانية ـ الشيخ محمد الخير عبد القادر ـ مكتبة وهبة ـ ط أولى ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
١٦٠ ـ النظم الإسلامية نشأتها وتطورها ـ د. صبحى الصالح ـ دار العلم للملايين ـ بيروت.
١٦١ ـ النظم الإسلامية حسن إبراهيم وعلى إبراهيم ـ مكتبة النهضة المصرية ـ ط أولى ـ ١٣٥٨هـ ـ ١٩٣٩م.
١٦٢ ـ النظريات السياسية الإسلامية ـ د. محمد ضياء الدين الريس ـ دار التراث ـ الطبعة السابعة ـ ١٩٧٩م.
١٦٣ ـ النظام السياسى فى الإسلام ـ د. محمد عبد القادر فارس ـ دار الفرقان ـ ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٦م ـ عمان ـ الأردن.
١٦٤ ـ نظام الحكم فى الإسلام ـ عبد المتعال محمد الجبرى ـ مكتبة وهبة ـ الطبعة الأولى ـ ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.
١٦٥ ـ النهاية فى غريب الحديث والأثر ـ ابن الأثير.
١٦٦ ـ الوحدة الإسلامية ـ الإمام محمد أبو زهرة ـ دار الفكر العربى ـ ١٩٧٦م.
١٦٧ ـ الوحدة الإسلامية ـ بحوث علمية لعلماء من المسلمين الشيعة والسنة ـ جمع وترتيب عبد الكريم بن أزار الشيرازى ـ منشورات مؤسسة الأعلمى للمطبوعات ـ الطبعة الأولى ـ ١٣٠٩هـ ـ ١٩٧٥م ـ بيروت ـ لبنان.
١٦٨ ـ الوحدة الإسلامية والأخوة الدينية ـ محمد رشيد رضا ـ مطبعة المنار ـ مصر ـ ط٢ ـ ١٣٤٦هـ.
١٦٩ ـ الوسيط فى النظم الإسلامية (الإسلام والدولة) دار القطب ـ محمد القطب ـ الاتحاد العربى ـ الطبعة الأولى ـ ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

• الدوريات:

ـ جريدة النور الإسلامية ـ العدد ٢٣٠ ـ السنة الخامسة ـ غرة ذى الحجة ـ ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
ـ مجلة الوعى الإسلامى ـ عدد ٢٤١ ـ المحرم ـ ١٤٠٥هـ ـ أكتوبر ـ ١٩٨٤م.
ـ المنار ـ ج٢ ـ مجلد ١٦ ـ فبراير ـ ١٩١٣م.
ـ المقتطف ـ فبراير ـ ١٩١٠م ـ ج٢ ـ مجلد ٤٦.
ـ الأهرام المصرية ٢٩/ ٧/ ١٩٨٥م.
ـ روزاليوسف عدد ١٨/ ١/ ١٩٨٨م.
ـ جريدة النور المصرية ٢٠/ ٢/ ١٩٩٠م.

* * *

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.

فهرس الموضوعات

الموضـــــوع	الصفحة
مقدمة الكتاب	٣
الفصل الأول: بين الجاهلية والإسلام	٧
المبحث الأول: العقيدة بين الجاهلية والإسلام	١٢
المبحث الثانى: العبادات والشعائر	٢٢
المبحث الثالث: الشرائع والأحكام	٣٠
المبحث الرابع: القيم والأخلاق	٤١
الفصل الثانى: العوامل التى شكلت تاريخ الإسلام	٥١
المبحث الأول: تمسك المسلمين بتعاليم الإسلام	٥٣
المبحث الثانى: قيام المسلمين بدعوة غيرهم إلى الإسلام	٥٦
المبحث الثالث: الفتوحات الإسلامية والجهاد ضد قوى الشر والطغيان	٦٠
الفصل الثالث: مفتريات على التاريخ الإسلامى	٧٩
المبحث الأول: المسلمون واستعمال السيف	٨٤
المبحث الثانى: المسلمون والغنائم	٩٢
المبحث الثالث: العلاقة بين الإسلام والعروبة	٩٨
المبحث الرابع: الأسباب الخارجية وعلاقتها بانتشار الإسلام	١٠٥
الخاتمة	١٠٨
المراجع	١١٠

* * *

مطابع الدار الهندسية/القاهرة
تليفون/فاكس : (٢٠٢) ٥٤٠٢٥٩٨

This file was created by an unlicensed copy of CenoPDF.
Please go to http://www.lystech.com/ to purchase a license to remove this message.